

مفهوم نفع الآخرين في الإسلام ومدى تمثله لدى طلبة الجامعة الإسلامية بغزة

## The Concept of Benefiting others in Islam, and it's Representation Extend on the Islamic University Majors in Gaza

حمدان الصوفي\*، وجميل الطهراوي\*\*

Hamdan El-Sofi, & Jamil Tahrawi

\*قسم أصول التربية، \*\*قسم علم النفس، كلية التربية، الجامعة الإسلامية، غزة، فلسطين

بريد الكتروني: jtahrawi@iugaza.edu

تاريخ التسليم: (٢٠٠٨/٩/٢٤)، تاريخ القبول: (٢٠٠٩/٥/٢٦)

### ملخص

هدفت الدراسة إلى تقديم مفهوم واضح لنفع الآخرين في الإسلام، وتحديد الضوابط المتعلقة بأركان النفع الثلاثة: النافع والمنفعة والمنفعة، كما هدفت إلى إظهار مستوى نفع الآخرين الذي يتمتع به طلبة الجامعة الإسلامية بغزة، وبيان الاختلاف في مستوى النفع باعتبار متغيرات الجنس والتخصص والمستوى الدراسي. واستخدمت الدراسة كلاً من أسلوب تحليل المحتوى والمنهج الوصفي التحليلي لتحقيق أغراض الدراسة، وقد خلصت الدراسة إلى بناء تصور إسلامي لنفع الآخرين وإعداد مقياس لبيان مستوى تمثّل طلبة الجامعة لنفع الآخرين من حيث المعتقد والأنفعال والممارسة، وأظهرت الدراسة وجود فروق دالة إحصائية في مستوى نفع الآخرين لصالح الطلاب الذكور وطلبة الكليات الشرعية، في حين لم توجد فروق تبعاً لمتغير المستوى الدراسي.

### Abstract

The study aimed at presenting a clear concept for benefiting others in Islam. It also stated the benefit's three criterions; beneficial, beneficiary and benefit. In addition, it aimed at showing the level of benefiting others among the Islamic University majors and revealing the level of benefit with consideration of gender, specialization and studying level. To achieve the purpose of the study the researchers attempted content analyses and the descriptive analytical approach. The study built an Islamic notion for benefiting others and prepared a measurement to show

the level of benefiting others regarding belief, emotion and practice among the University majors. The study revealed that there are statistically differences in the level of benefiting others for the male students and the religious colleges majors. On the other hand the study showed no statistically differences in the level of benefiting others due to studying level.

## أولاً: لإطار العام للدراسة

### مقدمة

إن القرآن الكريم كتاب هداية للإنسان، يقوده إلى ما فيه صلاحه ونفعه في دنياه وأخراه. يقول الله تعالى: "إِنَّ هَذَا الْقُرْآنَ يَهْدِي لِلَّتِي هِيَ أَقْوَمٌ" (الإسراء: ٩).

أي يهدي للتي هي: "أعدل وأعلى من العقائد والأعمال والأخلاق، فمن اهتدى بما يدعو إليه القرآن كان أكمل الناس وأقومهم وأهداهم في جميع صورته" (السعدي، ١/٢٠٠٠، ٤٥٤).

والسنة النبوية جاءت تطبيقاً لتعاليم القرآن الكريم في إرشاده الإنسان لما يصلح شأنه في الدنيا والآخرة، حيث قال النبي ﷺ "ألا إني أوتيت القرآن ومثله معه" (مسند أحمد، كتاب مسند الشاميين، رقم الحديث: ١٦٥٤٦).

والقرآن والسنة هما الأساسان اللذان ينبنى عليهما الفكر التربوي الإسلامي، الذي يعني ببناء شخصية الإنسان في جميع جوانبها العقديّة والنفسية والفكرية والاجتماعية وغيرها. وقد عمل الفكر التربوي الإسلامي على الارتقاء بصفات الإنسان وأخلاقه، وتخليصه من الأثرة والأنانية و"التفوق" حول ذاته. وقد المرّبون المسلمون مصنفات عديدة من شأنها أن تساهم في بناء الإنسان أخلاقياً ونفسياً وسلوكياً، حيث صنف الإمام ابن القيم كتابه "مدارج السالكين"، وصنف الإمام الغزالي رحمه الله كتابه "إحياء علوم الدين" ثم هذبه الإمام العراقي في كتاب "منهاج القاصدين" الذي هذبه الإمام ابن قدامة المقدسي في كتابه "مختصر منهاج القاصدين".

ومن أهم الصفات الأخلاقية التي عالجها المرّبون المسلمون في كتاباتهم صفة الإيتار التي ترتقي بالإنسان حتى تجعله يقدم إخوانه المسلمين على نفسه، ويتخلص من الشح الذي يلزم النفوس البشرية "وَأَحْضِرَتِ الْأَنْفُسُ الشُّحَّ" (النساء: ١٢٨). ونفع المسلم لإخوانه من صميم الإيمان، حيث يقول النبي ﷺ "لا يؤمن أحدكم حتى يحب لأخيه ما يحب لنفسه". (صحيح البخاري، كتاب الإيمان، رقم الحديث: ١٢)، وقال أيضاً: "من كان معه فضل ظهر فليعد به على من لا ظهر له، ومن كان له فضل زاد فليعد به على من لا زاد له، قال: فذكر من أصناف المال ما ذكر حتى رأينا أنه لا حق لأحد منا في فضل" (صحيح مسلم، كتاب اللقطة، رقم الحديث: ٣٢٥٨).

وإذا قوي إيمان الإنسان فإنه يقدم نفع الناس على نفع نفسه طمعاً فيما عند الله من الأجر الدنيوي والأخروي، يقول الله تعالى: "وَيُؤْتِرُونَ عَلَىٰ أَنفُسِهِمْ وَلَوْ كَانَ بِهِمْ خَصَاصَةٌ" (الحشر ٩).

وإذا عرفنا أن نفع الآخرين يبدأ بحب الأخ لأخيه ما يحب لنفسه، وينتهي بإيثار المسلم أخاه على نفسه، أدركنا أننا في أمس الحاجة إلى ترسيخ هذه الأخلاق في واقع شاعت فيه الأثرة والأنانية في مقابل تراجع صفة الإيثار وبذل النفع للناس، وتقديم المصلحة العامة على المصلحة الخاصة. وعلى الرغم من أهمية هذا النوع من البحوث إلا أن الواقع العربي والفلسطيني يعاني من ندرة البحوث التي تعالج مثل هذه الموضوعات المهمة. وقد أشار (خطاطبة، ٢٠٠٧، ٤) إلى عدم وجود دراسات علمية تؤصل مفهوم المنفعة، وتبين علاقة ذلك بالسلوك الإنساني في ضوء المصادر الإسلامية.

إن المجتمعات المسلمة عامة، والمجتمع الفلسطيني خاصة بحاجة ماسة إلى إحياء الأخلاق الاجتماعية والانتماء الصادق للأمة الإسلامية، ولاسيما في ظل الظروف الصعبة التي يعاني منها مجتمعنا الفلسطيني في أكثر من صعيد.

وهذا الأمر يحتاج إلى بيان أهمية خلق بذل الخير ونفع الآخرين، وشروط ذلك، وضوابطه، لعل ذلك يساهم في تسديد مسار الصحوة الإسلامية التي نشهدها، وترشيد أفكار الشباب في مجتمعنا المحلي خاصة، وفي المجتمعات المسلمة الأخرى بشكل عام.

#### مشكلة الدراسة

يمكن صياغة مشكلة الدراسة في السؤال الرئيس الآتي:

ما مفهوم نفع الآخرين في الإسلام، وما درجة تمثله لدى طلبة الجامعة الإسلامية بغزة من وجهة نظرهم؟

ويتفرع من السؤال السابق الأسئلة الفرعية الآتية:

١. ما مفهوم نفع الآخرين في الإسلام؟
٢. ما ضوابط نفع الآخرين في الإسلام؟
٣. ما مدى تمثل طلبة الجامعة الإسلامية بغزة لمفهوم نفع الآخرين في الإسلام من وجهة نظرهم؟
٤. هل توجد فروق دالة إحصائية عند  $(\alpha \leq 0.05)$  في مدى تمثل طلبة الجامعة الإسلامية بغزة لمفهوم نفع الآخرين في الإسلام من وجهة نظرهم تعزى لمتغيرات الجنس والمستوى الدراسي والتخصص؟

### فرضيات الدراسة

يمكن عرض فرضيات الدراسة على النحو الآتي:

١. لا توجد فروق دالة إحصائية عند  $(\alpha \leq 0.5)$  في مستوى نفع الآخرين تُعزى إلى متغير الجنس.
٢. لا توجد فروق دالة إحصائية عند  $(\alpha \leq 0.5)$  في مستوى نفع الآخرين تُعزى إلى متغير المستوى الدراسي (أول، ثاني، ثالث، رابع).
٣. لا توجد فروق دالة إحصائية عند  $(\alpha \leq 0.5)$  في مستوى نفع الآخرين تُعزى إلى متغير التخصص (شرعي، إنساني، تطبيقي).

### أهداف الدراسة

هدفت هذه الدراسة إلى تحقيق الأغراض الآتية:

١. تأصيل مفهوم "نفع الآخرين"، في ضوء نصوص القرآن والسنة.
٢. إظهار ضوابط نفع الآخرين استهداءً بالكتاب والسنة.
٣. إظهار مدى تمثّل طلبة الجامعة الإسلامية بغزة لمفهوم نفع الآخرين في الإسلام من وجهة نظرهم.
٤. إظهار مدى اختلاف مستوى نفع الآخرين لدى طلبة الجامعة الإسلامية باعتبار متغيرات الجنس والمستوى الدراسي والتخصص.

### أهمية الدراسة

تتبع أهمية هذه الدراسة من الحيثيات الآتية:

- موضوع الدراسة من الموضوعات التي ينبغي العناية بها في ظل الظروف القاسية التي يعاني منها مجتمعنا الفلسطيني، فنحن في أمس الحاجة إلى ترسيخ مفهوم الإيثار ونفع الآخرين، ويعتبر هذا لونا من ألوان المقاومة الثقافية والعقدية في وجه التحديات الداخلية والخارجية.
- انتماء هذه الدراسة إلى المنحى التأصيلي للمفاهيم مما يساهم في الربط بين الأصالة والمعاصرة في الفكر التربوي.
- ندرة الدراسات التي تناولت هذا الموضوع، حيث إن الباحثين لم يعثروا إلا على دراسة واحدة تتعلق بموضوع الدراسة.

- أهمية معرفة مدى تطبيق مفهوم "نفع الآخرين لدى طلبة الجامعة"، وعلاقة ذلك ببعض المتغيرات. ذلك لأن طلبة الجامعات يعكسون - إلى حد كبير - فكر المجتمع الذي ينتمون إليه، واتجاهات معتقداته وسلوكه.
- يمكن أن يستفيد من هذه الدراسة مؤسسات التعليم العالي بما تشمله من إدارة وأعضاء هيئة تدريس وطلبة. وكذلك المؤسسات الاجتماعية التي تعنى بالشباب والطلبة، والدعاة والمصلحون والمعلمون وكثير من أولياء الأمور.

### خطوات الدراسة

مرت هذه الدراسة بخطوات يمكن إيجازها على النحو الآتي:

١. جمع نصوص القرآن والسنة التي تتضمن مفهوم نفع الآخرين، وأنواعه وأهميته وضوابطه.
٢. تصنيف النصوص بحسب مباحث الدراسة، والاستهداء بمعانيها وتفسيراتها من أجل الإجابة على التساؤلات النظرية للدراسة.
٣. بناء استبانة لمعرفة تطبيقات مفهوم نفع الآخرين لدى طلبة الجامعة الإسلامية.
٤. عرض الاستبانة على بعض الخبراء لتحكيمها والتأكد من صلاحيتها للتطبيق.
٥. التأكد من صدق الاستبانة وثباتها من خلال تطبيقها على عينة استطلاعية من الطلبة.
٦. تطبيق الاستبانة على أفراد العينة المطلوبة.
٧. رصد نتائج الدراسة في ضوء أسئلتها وفرضياتها.
٨. تفسير نتائج الدراسة.
٩. الخلوص بجملة من التوصيات والمقترحات التي يمكن أن يفيد منها الباحثون في المجال التربوي.

### الدراسات السابقة

لم يجد الباحثان سوى دراسة واحدة ذات علاقة بموضوع بحثهما، وهي دراسة (خطاطبه، ٢٠٠٧) بعنوان: (المنفعة المترتبة على السلوك الإنساني في السنة النبوية) وقد هدفت الدراسة إلى بحث موقف السنة النبوية من المنفعة المترتبة على السلوك الإنساني، وذلك من خلال أربعة مباحث، تناول الأول منها مفهوم المنفعة في السنة النبوية وجوانب شمولها، ودرس المبحث الثاني أطر المنفعة ومقرراتها، وبين المبحث الثالث محددات المنفعة، وعلاقتها بالمعتقد والبيئة

والفروق الفردية وغيرها، وقدم المبحث الرابع دراسة تحليلية شملت جوانب المنفعة، والأداء السلوكي، والعلاقة بينهما، وأثر ذلك في تعديل السلوك.

#### وخلصت الدراسة إلى عدد من النتائج من أبرزها:

- اشتمال السنة على بيان أطر المنفعة ومقرراتها، وأوجه تقسيماتها إلى منفعة عاجلة وأجلة، وظاهرة وباطنه، وإيجابية وسلبية.
  - تضمنت السنة محددات المنفعة المتمثلة في صحة المعتقد، والسلوك السوي، وإتقان السلوك، والفروق الفردية، والبيئة، والفضل الرباني.
  - تأكيد السنة على العلاقة الواضحة بين المنفعة والسلوك من خلال تأثير المنفعة بالأداء السلوكي من حيث المستوى والنوع والكم.
- وتمثلت أبرز توصيات الدراسة في الحاجة إلى القراءة المعمقة لنصوص السنة النبوية المتصلة بالعلوم التربوية من أجل تأصيل مفاهيم النظرية التربوية الإسلامية. وهذا يحتاج إلى تضافر جهود كل من الشرعيين والتربويين.

وعلى الرغم من اتفاق هذه الدراسة مع دراسة الباحثين في منحى التأصيل العام، إلا أن دراسة الباحثين اختلفت عنها في الجمع بين الإطار النظري التأصيلي، والجانب الميداني التطبيقي، فضلاً عن معالجة مفهوم نفع الآخرين بطريقة شملت أنواع نفع الآخرين، وشروط النفع، وضوابطه، ودوافعه. كما اعتمدت دراسة الباحثين على مصدري الوحي (القرآن والسنة).

#### إجراءات الدراسة

##### منهجية البحث

استخدم الباحثان أسلوب تحليل المحتوى لدراسة مفهوم نفع الآخر من خلال تحليل آيات القرآن الكريم والأحاديث النبوية المطهرة، ثم المنهج الوصفي التحليلي لتحليل النتائج الكمية لمقياس النفع على عينة من طلبة الجامعة.

##### عينة الدراسة

تكونت عينة الدراسة من (٣١١) طالباً وطالبة، من طلبة الجامعة الإسلامية تم اختيارهم عشوائياً، والجدول التالي يبين توزيع أفراد العينة حسب متغيرات الدراسة:

جدول (١): توزيع أفراد العينة حسب متغيرات الدراسة (ن=٣١١).

نوع الكلية			المستوى الدراسي				الجنس	
شرعية	أدبية	علمية	الرابع	الثالث	الثاني	الأول	إناث	ذكور
٨٤	١٤١	٨٦	٤٩	٥٥	١٠٥	١٠٢	١٩٦	١١٥

#### أداة الدراسة

من خلال تحديد ملامح مفهوم النفع من وجهة نظر إسلامية، قام الباحثان بتصميم أداة لقياس نفع الإنسان للآخرين، وما يمثله هذا المفهوم للشخص باعتباره قيمة يتمثلها في فكره ونظرته للحياة، وانفعالاته الطيبة تجاه الآخرين، أو شعوره بالضيق إن عجز عن النفع، بالإضافة إلى الممارسة الفعلية لسلوكيات النفع، واحتوى المقياس على ٣٨ فقرة، تمثل ثلاثة أبعاد أساسية هي: ١- النفع (فكر واعتقاد) ٢- النفع (وجدان) ٣- النفع (سلوك) وتم تطبيقه على عينة استطلاعية قوامها (٣٠) من طلبة الجامعة الإسلامية.

#### الصدق والثبات

قام الباحثان بعدة خطوات للتأكد من صلاحية المقياس وتمتعه بالمواسفات السيكومترية التي تمكنهما من استخدامه في هذه الدراسة، ومنها:

#### الصدق

١. اهتم الباحثان بالصدق الظاهري للتأكد من صحة المفردات ووضوحها، وتم عرض المقياس على خمسة زملاء من أساتذة التربية وعلم النفس، وقد أخذ الباحثان بالتوجيهات والتعديلات المقترحة.
٢. وللتأكد من الصدق البنائي للمقياس تم حساب صدق الاتساق الداخلي بين كل عبارة من عبارات المقياس والدرجة الكلية للمقياس، وكانت كل معاملات الارتباط للعبارات دالة، وتعبر عن اتساق داخلي ذي معنى.

#### الثبات

١. التجزئة النصفية: قام الباحثان بحساب الثبات، بتطبيق طريقة التجزئة النصفية على نتائج العينة الاستطلاعية، حيث كان حساب معامل الارتباط بين نصفي المقياس (العبارات الفردية والزوجية) (٠.٨٦٧) وهو دال احصائياً.
٢. ألفا كرونباخ: قام الباحثان بإيجاد معامل ثبات مقياس النفع بإيجاد قيمة معامل ألفا والذي كان (٠.٧٦٩).

وعلى ما سبق فإن المؤشرات أفادت بمواصفات سيكومترية جيدة لمقياس النفع، تسمح بتطبيقه في الدراسة.

### ثالثاً: النتائج النظرية للدراسة

في هذا القسم من الدراسة حاول الباحثان الإجابة على السؤالين الأول والثاني من خلال الرجوع إلى القرآن والسنة لاستخلاص مفهوم نفع الآخرين وبيان أهم ضوابطه.

أولاً: إجابة السؤال الأول ونصه: (ما مفهوم نفع الآخرين في الإسلام؟).

تطلبت إجابة هذا السؤال العودة إلى معاجم اللغة وكتب التفسير وشروح الحديث لبيان معنى النفع، وأقسامه، وشروطه، وأهميته. ويمكن تفصيل الإجابة من خلال عرض النقاط الآتية:

#### ١ - مفهوم النفع

جاء في "لسان العرب" أن النفع ضد الضر، نفعه ينفعه نفعاً ومنفعة ... وفلان ينفع بكذا، ونفعت فلاناً بكذا فانتفع به، ورجل نفوع ونفّاع كثير النفع ... والمنفعة اسم ما انتفع به. (ابن منظور، ٢٠٠٣، ٥٨/٨).

والنفع ما يستعان به في الوصول إلى الخيرات ... فالنفع خير وضده الضر. (الأصفهاني، ٥٥٧/١٩٩٧).

والنفع بمعناه العام يشمل نفع الإنسان نفسه، ونفعه غيره من الناس، سواء أكان النفع إيجابياً بمعنى بذل المنفعة في أمور الدنيا والآخرة، أو سلبياً بمعنى دفع الضر عن النفس والغير أو التخفيف منه بقدر المستطاع.

ويعرف (خطاطبة، ٢٠٠٧، ٧) المنفعة بأنها "الفوائد الإيجابية والسلبية، أي جميع المصالح واللذات المادية والمعنوية التي يسعى كل من الفرد أو الجماعة إلى تحصيلها عاجلاً أم آجلاً، فالمنفعة قد تكون تحصيل فائدة إيجابية، أي: مرغوب فيه من مصالح ولذات ... وقد تكون فائدة سلبية، أي: دفع غير مرغوب به أو إزالته أو الوقاية منه".

وبالتالي يدخل في مفهوم "نفع الآخرين" تقديم ما ينفع الناس من جلب المصالح المادية والمعنوية، ودفع المفساد المادية والمعنوية، ومساعدتهم فيما يحقق لهم سعادة الدنيا ولذة الآخرة.

#### ٢ - أقسام النفع

إن نفع المسلم لغيره من الناس، يمكن أن ينقسم إلى أصناف متعددة. فهو باعتبار ينقسم إلى نفع مادي ونفع معنوي، وباعتبار آخر ينقسم إلى نفع إيجابي ونفع سلبي، وباعتبار ثالث ينقسم إلى نفع دنيوي ونفع أخروي. ويمكن أن يضاف إلى ذلك تقسيمات أخرى كالنفع العاجل والنفع الآجل، والنفع المحدود والنفع الموسع إلى غير ذلك من التقسيمات.



وقد وردت نصوص من القرآن والسنة أشارت إلى التقسيمات المشار إليها آنفاً، حيث أشارت السنة النبوية إلى النفع المادي في قول النبي ﷺ "ما نفعني مال قط ما نفعني مال أبي بكر" (سنن ابن ماجه، المقدمة، حديث رقم ٩١) وصححه الألباني.

وفي قوله ﷺ: "الدواء من القدر وهو ينفع من يشاء" (الألباني صحيح الجامع الصغير، رقم الحديث: ٣٤١٦).

والملاحظ أن الحديثين السابقين ذكرا أمرين ماديين يترتب عليهما منافع للإنسان وهما المال والدواء، فمن بذل لأخيه المال والدواء فقد نفعه نفعاً مادياً. أما النفع المعنوي فقد جاء في قوله تعالى: "وَتُكْرَهُ فَإِنَّ الذِّكْرَى تَنْفَعُ الْمُؤْمِنِينَ" (الذاريات ٥٥). كما أشار النبي ﷺ إلى نفع آخر معنوي في قوله "الدعاء ينفع مما نزل ومما لم ينزل" (سنن الترمذي، كتابه الدعوات: ٣٤٧) وحسنه الألباني.

وقد استأذن رجل النبي ﷺ في رقية رجل لدغته عقرب فقال له النبي ﷺ "من استطاع منكم أن ينفع أخاه فليفعل" (صحيح مسلم، كتاب السلام، ٤٠٧٦).

كذلك فإن نصوص القرآن والسنة أشارت إلى النفع الإيجابي والنفع السلبي. ويقصد بالنفع الإيجابي المساهمة في تحصيل مصلحة دينية أو دنيوية للناس، والنفع السلبي يعني المساهمة في دفع مفسدة دينية أو دنيوية، أو التخفيف منها.

وقد ذكر النبي ﷺ لونا من ألوان النفع الإيجابي في قوله: "من كانت له أرض فليزرعها أو ليمنحها أخاه" (صحيح البخاري، كتاب المزارعة، رقم الحديث: ٢١٧٢).

وإذا منح المسلم أرضه لأخيه يزرعها فسوف يكون في ذلك مصلحة له وفائدة. أما ذكر النفع السلبي فقد جاء في قوله ﷺ "أحب الأعمال إلى الله عز وجل سرور تدخله على مسلم أو تكشف عنه كربة أو تطرده جوعاً أو تقضي عنه ديناً" (الألباني، صحيح الترغيب والترهيب، ١/٩٥٥).

فالحديث السابق أشار إلى بعض أصناف النفع السلبي الذي يعني دفع الضرر أو المفسدة عن المسلم وذلك بكشف الشدة عنه ودفع مفسدة الجوع وهم الدين. وقد جمع القرآن الكريم بين النفع الإيجابي والنفع السلبي في قوله تعالى: "الَّذِينَ يَنْفِقُونَ فِي السَّرَّاءِ وَالضَّرَّاءِ وَالْكَاطِمِينَ الْغَيْظِ وَالْعَافِينَ عَنِ النَّاسِ وَاللَّهُ يُحِبُّ الْمُحْسِنِينَ" (آل عمران: ١٣٤) فالنفقة في السراء والضراء نفع إيجابي، وأما كظم الغيظ، ومنع ما يترتب عليه من أذى للناس، والعفو عن زلات الناس فهذا من النفع السلبي.

وأشارت أحاديث النبي ﷺ إلى النفع الدنيوي والنفع الأخروي، حيث قال النبي ﷺ في معرض حديثه عن تلقيح النخل: "إن كان ذلك ينفعهم فليصنعوه، فإني إنما ظننت ظناً فلا تؤاخذوني بالظن" (صحيح مسلم، كتاب الفضائل، رقم الحديث: ٤٣٥٦) فقد ربط النبي ﷺ تلقيح النخل بنفعه الدنيوي الذي يترتب عليه جودة الثمر. كما أرشد النبي ﷺ إلى النفع الأخروي عندما

سئل: "هل نفعت أبا طالب بشيء فإنه كان يحوطك ويغضب لك" فأجاب بقوله: "نعم هو في ضحضاح من نار، ولولا أنا لكان في الدرك الأسفل من النار" (صحيح مسلم، كتاب الإيمان، رقم الحديث: ٣٠٨) وهذا يبين أن الله سبحانه وتعالى نفع بالنبى ﷺ عمه أبا طالب وذلك بالتخفيف من عقوبته في الآخرة، ومعنى التخفيف من العقوبة يدخل باعتبار آخر في مسمى النفع السلبي الذي ذكر آنفاً.

### ٣- شروط النفع

هناك شروط بينها الشارع لا بد من وجودها حتى يحقق النفع مقصده ويترتب عليه نتائجه المرجوة. ويمكن إجمال هذه الشروط في النقاط التالية:

#### ١- أصل التوحيد

لا يقبل الله تعالى النفع سواء أكان نفع المرء ذاته، أو نفعه للناس إلا إذا كان القلب معقوداً على أصل التوحيد. يقول الله تعالى: "وَمَا مَنَعَهُمْ أَنْ تُقْبَلَ مِنْهُمْ نَفَقَاتُهُمْ إِلَّا أَنَّهُمْ كَفَرُوا بِاللَّهِ وَبِرَسُولِهِ وَلَا يَأْتُونَ الصَّلَاةَ إِلَّا وَهُمْ كُسَالَى وَلَا يُنْفِقُونَ إِلَّا وَهُمْ كَارَهُونَ" (التوبة: ٥٤).

ويعلق (البغوي، ١٩٩٧، ٥٨/٤) على ما منعهم من قبول نفقاتهم بقوله: "أي: المانع من قبول نفقاتهم كفرهم". ويقول الله تعالى أيضاً: "يَوْمَ لَا يَنْفَعُ مَالٌ وَلَا بَنُونَ، إِلَّا مَنْ أَتَى اللَّهَ بِقَلْبٍ سَلِيمٍ" (الشعراء ٨٨/٨٩) والمراد بسلامة القلب هنا: "هو سلامة القلب من الشك في توحيد الله، والبعث بعد الممات، (الطبري، ١٩٤٠، ٣٦٦/٣٦٦). وهذا يدل على أن النفع الأخروي للمال والبنين لا يتحقق إلا بتوحيد الله والإيمان به.

وقد أجاب النبي ﷺ عمر بن شعيب بقوله: "أما أبوك فلو كان أقر بالتوحيد فصمت وتصدقت عنه نفعه ذلك" (مسند أحمد، كتاب المكثرين من الصحابة، ٦٤١٧) وصححه الألباني.

وبذلك يتبين أن نفع المسلم لنفسه أو لغيره لا يقبله الله عز وجل ولا يترتب عليه الأجر والثواب في الآخرة إلا إذا صح من الإنسان أصل التوحيد.

#### ب- الإخلاص

إن نفع المسلم للناس لا يحرز القبول إلا بإخلاص العمل لله عز وجل دون أن يشرك في عمله أحداً مع الله عز وجل. يقول الله تعالى: "وَمَا أَمْرُوا إِلَّا لِيَعْبُدُوا اللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ حُنَفَاءَ وَيُقِيمُوا الصَّلَاةَ وَيُؤْتُوا الزَّكَاةَ وَذَلِكَ دِينُ الْقِيَمَةِ" (البينة: ٥) ومعنى مخلصين له الدين أي: "جاعلين دينهم خالصاً لله تعالى، أو جاعلين أنفسهم خالصة له تعالى في الدين ... مانلين عن جميع العقائد الزائفة إلى الإسلام" (أبو السعود، ٢٠٠١، ٤٣/٧).

إن الإخلاص لله عز وجل هو مفتاح قبول الأعمال، والإنسان مهما عمل من أعمال صالحة في ظاهرها فإنها لا تقبل إلا بإخلاص النية والقصد لقوله تعالى: "وَقَدِمْنَا إِلَى مَا عَمِلُوا مِنْ عَمَلٍ فَجَعَلْنَاهُ هَبَاءً مَنْثُورًا" (الفرقان: ٢٣).

وفي مقابل ذلك فإن الإنسان المسلم يُؤجر بمجرد النية الصادقة إن حبسه العذر عن العمل وذلك لقول النبي ﷺ: "إن أقواماً بالمدينة خلفنا ما سلكنا شعباً ولا وادياً إلا وهم معنا فيه حبسهم العذر" (صحيح البخاري، كتاب الجهاد والسير، ٢٦٢٧) ويعقب السندي في شرحه لسنن ابن ماجة على نص الحديث السابق بقوله: "حبسهم العذر أي: وإلا فنيتهم الجهاد وعادتهم الخروج إليه، والمعذور يكتب له العمل الذي يعتاده إذا منعه العذر عن ذلك" (سنن ابن ماجة، كتاب الجهاد، ٢٧٥٤).

وبهذا يتبين أن النفع الأخروي للأعمال ملازم لإخلاص العبد قلبه لله عز وجل، أما ما يترتب على الأعمال من منافع دنيوية فهذا مرتبط بجهد الإنسان وبذله للأسباب الموصلة إلى المصالح والمنافع، وهذا يشمل الجهد الذي يبذله الإنسان المؤمن وغير المؤمن.

### ج- إذن الله وإرادته

يبين القرآن الكريم أن نفع الإنسان غيره من الناس لا يمكن أن ينعد إلا بإرادة الله وإذنه. يقول الله تعالى: "وَلَا يَنْفَعُكُمْ نُصْحِي إِنْ أَرَدْتُ أَنْ أُنصَحَ لَكُمْ إِنْ كَانَ اللَّهُ يُرِيدُ أَنْ يُغْوِيَكُمْ هُوَ رَبُّكُمْ وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ" (هود: ٣٤).

ومعنى الآية أن "إرادة الله غالبية، فإنه إذا أراد أن يغويكم، لردكم الحق، فلو حرصت غاية مجهودي، ونصحت لكم أتم النصح ... فليس ذلك بِنافع لكم شيئاً" (السعدي، ٢٠٠٠، ٣٨١/١).

إن الآية السابقة علقت نفع نصح النبي ﷺ لقومه بإرادة الله عز وجل لهذا الأمر.

وجاء في القرآن الكريم أيضاً "يَوْمَئِذٍ لَّا تَنْفَعُ الشَّفَاعَةُ إِلَّا مَنْ أَذِنَ لَهُ الرَّحْمَنُ وَرَضِيَ لَهُ قَوْلًا" (طه: ١٠٩). أي يوم القيامة "لا تنفع الشفاعة من شافع كائناً من كان ... إلا شفاعة من أذن له الرحمن أن يشفع له ... وكان له قول يرضى" (الشوكاني، ١٩٩٨م، ٢٨/٥). وبهذا يتبين أن إرادة الله عز وجل وإذنه شرط من شروط قبول نفع الإنسان لغيره ونفوذ أثر هذا النفع.

### د- موافقة أمد التأثير

تبين النصوص الشرعية أن نفع أعمال الإنسان من إيمان وصدقة وعمل صالح له أمد يتوقف عنده، وهذا الأمر فيكون عاماً لجميع الناس، ويكون أحياناً أخرى خاصاً بكل فرد. وسوف يتم إيضاح هذه الأحوال بإيراد بعض النصوص الشرعية.

ويبين النبي ﷺ أن انتفاع الناس بإيمانهم له أمد يتوقف عنده فلا ينفعهم بعده، حيث يقول: "ثلاث إذا خرجن لا ينفع نفساً إيمانها لم تكن آمنت من قبل أو كسبت في إيمانها خيراً: طلوع الشمس من مغربها، والدجال، ودابة الأرض". (صحيح مسلم، كتاب الإيمان، ٢٢٧) والحديث يدل على أن اكتمال ظهور هذه العلامات الثلاث إيذان بعدم انتفاع المسلم بالأعمال الصالحة. وكذلك لا تنفع الإنسان الأعمال الصالحة إذا عاين العذاب الذي وعدت به الرسل. يقول الله تعالى: "فَلَمْ يَكُ يَنْفَعُهُمْ إِيْمَانُهُمْ لَمَّا رَأَوْا بَأْسَنَا سُنَّتَ اللَّهُ الَّتِي قَدْ خَلَتْ فِي عِبَادِهِ وَخَسِرَ هُنَالِكَ الْكَافِرُونَ". (غافر: ٨٥). "أي حين شاهدوا العذاب لم ينفعهم الإيمان لأن الله لا يقبل الإيمان عند

نزول عذابه" (ابن عاشور، ١٩٩٥م، ١٢/٤٩٤). والسبب في عدم انتفاعهم بإيمانهم عند معاينتهم العذاب الذي أنذرتهم الرسل أن الإيمان النافع هو "الإيمان الاختياري لا الإيمان الاضطراري" (الشوكاني، ١٩٩٨، ٦/٣٣٩) وكذلك الإنسان إذا احتضر وعابن ملائكة الموت فإنه لا ينتفع بعمله حينئذ، كما قال الله تعالى: "وَأَنْفِقُوا مِنْ مَّا رَزَقْنَاكُمْ مِّن قَبْلِ أَنْ يَأْتِيَ أَحَدَكُمُ الْمَوْتُ فَيَقُولَ رَبِّ لَوْلَا أَخَّرْتَنِي إِلَىٰ أَجَلٍ قَرِيبٍ فَأَصَّدَّقَ وَأَكُن مِّنَ الصَّالِحِينَ" (المنافقون: ١٠).

والمراد هنا الأمر بالإنفاق الواجب "من قبل أن يرى دلائل الموت، ويعاين ما يبأس معه من الإهمال، ويتعذر عليه الإنفاق" (المنافق، ٣٨٥م، ٣/٤٣٥).

#### هـ- المنفعة الراجعة

إن من شروط نفع النفس ونفع الآخرين ترجيح جانب المنفعة في العمل المراد أدائه، أما إذا رجح لدى الإنسان جانب الضرر على جانب النفع فحينئذ عليه الإقلاع عن هذا العمل والانصراف عنه إلى غيره. يقول الله تعالى: "فَذَكِّرْ إِن نَّفَعَتِ الذُّكْرَىٰ" (الأعلى: ٩). وقد بين ابن كثير معنى هذه الآية بقوله: "أي ذكر حيث تنفع التذكرة. ومن ها هنا يؤخذ الأدب في نشر العلم، فلا يضعه عند غير أهله، كما قال أمير المؤمنين علي رضي الله عنه: ما أنت بمحدث قوماً حديثاً لا تبلغه عقولهم إلا كان فتنة لبعضهم" (ابن كثير، ١٩٩٩، ٨/٣٨٠). وبهذا يظهر أن المسلم عليه أن يجعل تذكيره الناس ووعظهم حيث يترجح لديه نفع ذلك والإفادة منه.

#### ٤- أهمية بذل النفع للناس

إن بذل النفع للناس من الأهمية بمكان في الإسلام، حيث يترتب عليه كثير من الفوائد المرتبطة بالفرد والمجتمع سواء أكانت هذه الفوائد دينية أم دنيوية. ويمكن إجمال الأمور التي تبين أهمية نفع الإنسان للناس على النحو الآتي:

##### ١- نفع الناس أحب الأعمال إلى الله

سئل النبي ﷺ أي الأعمال أفضل؟ قال: "إدخالك السرور على مؤمن أشبعت جوعته أو كسوت عورته أو قضيت له حاجة" (الألباني، صحيح الترغيب والترهيب، رقم الحديث: ٩٥٤). وهذا يدل على أن الأعمال التي يتعدى نفعها للمسلمين أفضل عند الله عز وجل لما يترتب عليها من ثمار وفوائد اجتماعية ونفسية. ويترتب على ذلك أن الذين ينفعون الناس هم أحب إلى الله تعالى من غيرهم.

يقول النبي صلى الله عليه وسلم: "أحب الناس إلى الله أنفعهم للناس". (الألباني، صحيح الترغيب والترهيب، رقم الحديث: ٢٦٢٣). ولما كانت الأعمال متعدية النفع أفضل الأعمال فقد ارتبط بها جزيل الأجر والثواب. يقول الله تعالى: "آمِنُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ وَأَنْفِقُوا مِمَّا جَعَلَكُمْ مُسْتَخْلِفِينَ فِيهِ فَالَّذِينَ آمَنُوا مِنْكُمْ وَأَنْفَقُوا لَهُمْ أَجْرٌ كَبِيرٌ" (الحديد: ٧).

ولا يقتصر الإنفاق في هذه الآية على المال بل إنه يشمل الإنفاق فيما يرضى الله على وجه العموم. يقول (الشوكاني، ١٩٩٨م، ١٤٥/٧) في تفسيره للآية السابقة: (والظاهر أن معنى الآية الترغيب في الإنفاق في الخير، وما يرضاه الله على العموم).

#### ب- حث الإسلام على نفع الناس

حث الإسلام الإنسان المسلم على الحرص على ما ينفعه في أمر دينه ودنياه سواء أكان هذا النفع مقتصرًا عليه أم متعدياً إلى غيره من الناس. وقد قال النبي ﷺ: "المؤمن القوي خير وأحب إلى الله من المؤمن الضعيف وفي كل خير، احرص على ما ينفعك" (صحيح مسلم، كتاب القدر، ٤٨١٦).

وهذا توجيه واضح لكل مسلم أن يحرص على ما يحقق له النفع. ومن أهم الأمور التي تحقق للمسلم النفع نفعه أخاه بما يستطيع يقول النبي ﷺ: "من استطاع أن ينفع أخاه فليفعل" (الألباني، صحيح الجامع الصغير، ٦٠١٩).

وقد ضرب النبي ﷺ مثلاً للمؤمن يدل على نفع المؤمن لغيره في سائر الأحوال حيث قال: "مثل المؤمن مثل النخلة ما أخذت منها من شيء نفعك" (الألباني، صحيح الجامع الصغير، ٥٨٤٨).

#### ج- النافع خير من المنتفع

جعل الإسلام درجة المسلم الذي ينفع الناس أعلى من درجة السائل أو المنتفع، وفي ذلك رفع لهمة المسلم لأن يكون هو صاحب الدرجة الأعلى بتقديمه النفع لإخوانه. قال رسول الله ﷺ: "اليد العليا خير من اليد السفلى" (صحيح البخاري، كتاب الزكاة، ١٣٣٨). وبين الإمام ابن حجر العسقلاني في شرحه للحديث السابق أن اليد العليا هي المعطية أو المنفقة، واليد السفلى هي اليد الآخذة أو السائلة. وهذا يوضح أن النافع لغيره يكون بعمله هذا خيراً من المنتفع، ولا يشترط أن يكون خيراً منه على الإطلاق، وإنما المراد هنا المفاضلة بينهما في عمل النفع على وجه التحديد.

#### د- النفع يعود على صاحبه في الدنيا والآخرة

إن المسلم الذي يبذل النفع للناس يعود نفعه على نفسه في الدنيا والآخرة، في الدنيا بالتوفيق والبركة والنماء، وفي الآخرة بالأجر الجزيل والنعيم المقيم. يقول الله تعالى: "وَمَا تُنْفِقُوا مِنْ خَيْرٍ فَلأنفُسِكُمْ وَمَا تُنْفِقُونَ إِلَّا لِأَنْفُسِكُمْ وَأَنْتُمْ لَا تَظْلَمُونَ" (البقرة: ٢٧٢) أي: وما تنفقوا "من مال فهو لأنفسكم لا ينفع به غيركم فلا تمنوا به على الناس ولا تؤذونهم بالتطاول عليهم" وما تنفقوا من خير يوف إليكم "ثوابه أضعافاً مضاعفة فلا عذر لكم في أن ترغبوا عن إنفاقه وأن يكون على أحسن الوجوه وأجملها" (النسفي، ١٩٨٥، ١٣٧/١). ويقول الله تعالى: "وَمَا أَنْفَقْتُمْ مِنْ شَيْءٍ فَهُوَ يُخْلِفُهُ وَهُوَ خَيْرُ الرَّازِقِينَ" (سبا: ٣٩).

أي: "يخلفه عليكم، يقال: أخلف له، وأخلف عليه إذا أعطاه عوضه أو بدله، وذلك البذل إما في الدنيا، وإما في الآخرة" (الشوكاني، ٦، ١٩٩٨/١٤١).

وفي ذلك دلالة على أن الإنسان المسلم إذا بذل للناس خيراً فإن الله يعوضه بدلاً منه. ويؤيد هذا المعنى قول النبي ﷺ: "قال الله تبارك وتعالى: يا ابن آدم أنفق أنفق عليك" (صحيح مسلم، كتاب الزكاة ١٦٥٨).

وقد ترك الحديث السابق تقييد الإنفاق بأمر معين لكي يشمل ذلك الإنفاق في جميع أنواع الخير. وهذا ما بينه الإمام ابن حجر العسقلاني في شرحه للحديث السابق المروي في صحيح البخاري (صحيح البخاري، كتاب تفسير القرآن، ٤٣١٦). وبذلك يظهر جلياً أن الله تعالى يعوض من يبذل النفع للناس ويخلفه خيراً مما بذل وأنفق، وبالتالي فإن نفع المسلم غيره مع الإخلاص لله سيعود له لا محالة عوضاً في الدنيا وأجرأ ورفعة في الآخرة.

#### هـ- الوقاية من الشح

إن النفوس مجبولة على الشح بما تملك من ثروة، ولكن تقوى الله وطاعته ومجاهدة النفس على البذل ونفع الناس، وكل ذلك يساهم في تخليص النفوس من الشح الذي هو من شيمها "وَأَحْضِرَتِ الْأَنْفُسُ الشُّحَّ" (النساء: ١٢٨).

وفي ذلك فائدة للإنسان وإعلاء للخصائص الإنسانية فيه، التي تميزه عن الحيوان الأعجم. قال الله عز وجل: "فَاتَّقُوا اللَّهَ مَا اسْتَطَعْتُمْ وَأَسْمِعُوا وَأَطِيعُوا وَأَنْفِقُوا خَيْرًا لَأَنْفُسِكُمْ وَمَنْ يُوقِ شِحْنًا نَفْسِهِ فَأُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ" (التغابن: ١٦).

ومعنى قوله تعالى: "وَأَنْفِقُوا خَيْرًا لَأَنْفُسِكُمْ" أي: "وابذلوا مما رزقكم الله على الأقارب والفقراء والمساكين وذوي الحاجات، وأحسنوا إلى خلق الله كما أحسن إليكم، يكن خيراً لكم في الدنيا والآخرة" (ابن كثير، ١٩٩٩، ١٤١/٨).

إن التخلص من شح النفس ببذل النفع للناس يضع الإنسان في طريق الفلاح والفوز الذي يوصله إلى درجة الإحسان التي تخلص الإنسان من أهوائه ونزواته من جهة، وتخلصه من سهام الحقد والحسد التي يرميه بها المحرومون من أبناء مجتمعه من جهة أخرى.

يقول الله تعالى: "الَّذِينَ يُنْفِقُونَ فِي السَّرَّاءِ وَالضَّرَّاءِ وَالْكَاطِمِينَ الْغَيْظِ وَالْعَافِينَ عَنِ النَّاسِ وَاللَّهُ يُحِبُّ الْمُحْسِنِينَ" (آل عمران: ١٣٤) والمحسنون هم الذين بذلوا للناس ما ينفعهم، وحجبا عنهم ما يسوؤهم ويكدر صفوهم.

ومما سبق يستبين أن أهمية بذل النفع للناس تتمثل في رفعة درجة الباذلين للنفع في الدنيا والآخرة، وتخلصهم من شوائب الشيم ومساوئ الأخلاق، وكف أذى المنتفعين بالخير، واستلال الحقد والضعينة من نفوسهم تجاه أهل الغني والعطاء، وشيوع الأمن الاجتماعي القائم على الترابط والتراحم والعفاف وصدق الانتماء.

### ثانياً: إجابة السؤال الثاني، ونصه: "ما ضوابط نفع الآخرين في الإسلام؟"

اقتضت إجابة هذا السؤال رجوع الباحثين إلى نصوص القرآن والسنة لتحديد ضوابط نفع الآخرين من خلال تفاسير القرآن الكريم وشروح السنة النبوية. ويمكن عرض خلاصة هذا الجهد على النحو الآتي:

#### ضوابط النفع في الإسلام

إن المسلم في نفعه الناس ينطلق من معايير وضوابط تجعل هذا النفع على أتم وجه من حيث الأثر الدنيوي والديني، أي من حيث ثمرة النفع ونتيجته في الدنيا، ومن حيث ما يترتب عليه من سعادة في الدنيا ومنزلة ورفعة في الآخرة. ويمكن أن يصنف الباحثان ضوابط النفع باعتباريات ثلاثة. الأول: ضوابط باعتبار النافع، والثاني: ضوابط باعتبار المنتفع، والثالث: ضوابط باعتبار المنفعة ذاتها. ذلك لأن النفع يقوم على ثلاثة أركان أساسية. أولها النافع أي الشخص الذي يبذل المنفعة لغيره، وهو الركن الأساسي في عملية النفع. وثانيها: المنتفع الذي يُبذل له المنفعة. وثالثها: المنفعة التي هي الرابطة بين باذل النفع والمستفيد منه.

#### ١ - ضوابط متعلقة بالنافع

هناك العديد من الاعتبارات المتعلقة بمن يبذل النفع للناس تدفع بالمنفعة إلى أقصى مدى لتحقيق المقاصد المنوطة بها من حيث الفائدة الدنيوية. والأجر الأخروي. ويمكن عرض هذه الضوابط من خلال النقاط الآتية:

##### أ- صدق النية

إن المرء ليؤجر على نيته الحسنة إذا عزم على فعل الخير وبذل النفع، وإذا عزم على كفا الأذى وترك السوء كذلك. لأن صدق النية في كلا الحالتين من أعمال القلوب التي يؤجر عليها المسلم. يقول النبي ﷺ: "إن الله كتب الحسنات والسينات ثم بين ذلك، فمن هم بحسنة فلم يعملها كتبها الله له عنده حسنة كاملة، فإذا هو هم بها فعلمها كتبها الله له عنده عشر حسنات... ومن هم بسينة فلم يعملها كتبها الله له عنده حسنة كاملة، فإذا هو هم بهاء فعلمها كتبها الله له سينة واحدة" (صحيح البخاري، كتاب الرقاق، رقم الحديث: ٦٠١٠).

وقد بين النبي ﷺ أن نية الإنسان الصادقة تنفعه وهي مجردة عن العمل، أما إن اقترنت النية الصادقة بالعمل فإن النفع سيكون مضاعفاً. وبين كذلك أن الإنسان الذي لا يملك مالاً ينفقه وينفع به غيره إن صدق منه القصد فإنه يشارك صاحب المال المنفق في الأجر والثواب، حيث قال ﷺ: "مثل هذه الأمة كمثل أربعة نفر، رجل آتاه الله مالاً وعلماً فهو يعمل بعلمه في ماله ينفقه في حقه، ورجلاً آتاه الله علماً ولم يؤته مالاً فهو يقول: لو كان لي مثل هذا عملت فيه مثل الذي يعمل، قال رسول الله ﷺ: فهما في الأجر سواء" (سنن ابن ماجه، كتاب الزهد، رقم الحديث: ٤٢١٨) وصححه الألباني. ويعقب السندي رحمه الله في شرحه للحديث بقوله: "وهذا القول

يرجع إلى النية، والمراد يوجب على نية الخير فهو في أصل الأجر أيضاً مساو للمنفق" وبذلك يتبين ما لصدق النية من أثر في تحصيل الأجر لمن أراد أن ينفع الناس وعزم على ذلك بصدق.

وقد ذكر القرآن الكريم ألواناً من أعمال البر والنفع، وجعل ما يترتب عليها من أجر عظيم منوطاً بإخلاص النية لله وابتغاء مرضاته. وقال الله تعالى: "لَا خَيْرَ فِي كَثِيرٍ مِّنْ نَّجْوَاهُمْ إِلَّا مَنْ أَمَرَ بِصَدَقَةٍ أَوْ مَعْرُوفٍ أَوْ إِصْلَاحٍ بَيْنَ النَّاسِ وَمَنْ يَفْعَلْ ذَلِكَ ابْتِغَاءَ مَرْضَاتِ اللَّهِ فَسَوْفَ نُؤْتِيهِ أَجْرًا عَظِيمًا" (النساء: ١١٤).

ومعنى الآية أنه لا خير في كثير مما يتناجى به الناس إلا من أمر بصدقة من مال أو علم أو أي نفع كان، أو معروف: وهو كل ما عرف في الشرع والعقل حسنة من إحسان وطاعة وغير ذلك، أو إصلاح بين الناس في الدماء والأموال والأعراض. (السعدي، ٢٠٠٠، ٢٠٢/١). ومن يفعل ذلك ابتغاء مرضاة الله أي: "مخلصاً في ذلك محتسباً ثواب ذلك الله عز وجل، فسوف نؤتيه أجراً عظيماً، أي: ثواباً كثيراً واسعاً" (ابن كثير، ١٩٩٩ م/٤١٢/٢). وهذا يدل على ما لإخلاص النية وصدق القصد من أثر في قبول الأعمال الصالحة النافعة.

#### ب- الإسرار والإخفاء

يراعي الإسلام مصلحة الإنسان سواء أكان نافعاً للناس منفقاً عليهم أو آخذاً منتفعاً. ولذلك عد الإسلام النفع والإنفاق الذي يسر به صاحبه ويخفيه أعظم أجراً للمنفق الباذل، لأن ذلك ينأى به عن الرياء والغرور. وفي ذلك خير كذلك للمنتفع لما فيه من ستر وحفظ للكرامة ومحافظة على العفة. يقول الله تعالى: "إِن تُبْدُوا الصَّدَقَاتِ فَنِعِمَّا هِيَ وَإِن تُخْفُوهَا وَتُؤْتُوهَا الْفُقَرَاءَ فَهُوَ خَيْرٌ لَّكُمْ وَيُكَفِّرُ عَنْكُمْ مِّنْ سَيِّئَاتِكُمْ وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ" (البقرة: ٢٧١).

يقول الإمام ابن كثير رحمه الله في شرحه للآية: "فيه دلالة على أن إسرار الصدقة أفضل من إظهارها، لأنه أبعد عن الرياء، إلا أن يترتب على الإظهار مصلحة راجحة، من اقتداء الناس به فيكون أفضل من هذه الحيثية... والأصل أن الإسرار أفضل لهذه الآية" (ابن كثير، ١٩٩٩، ٧٠١/١). وقد ذكر النبي ﷺ من السبعة الذين يظلمهم الله في ظله يوم لا ظل إلا ظله رجالاً "تصدق بصدقة فأخفاها حتى لا تعلم شماله ما تنفق يمينه" (صحيح البخاري، كتاب الزكاة، رقم الحديث: ١٣٣٤). ومما سبق يظهر حرص الإسلام على تحقيق مصلحة الإنسان الدنيوية والأخرية معطياً كان أو آخذاً، نافعاً أو منتفعاً.

#### ج- التوسط والاعتدال

الإسلام دين الوسطية والاعتدال، والوسط العادل يكون دائماً هو الأمتثل والأفضل. والوسطية سمة ملازمة للإسلام في الاعتقاد والعبادة والعمل والإنفاق. والمسلم مأمور أن يكون نافعاً للناس في حدود التوازن الذي لا يخل بمصلحة الباذل للنفع ومصلحة من يرعاهم من جهة، ولا يجحف في حق المحتاجين من جهة أخرى. يقول الله سبحانه: "وَلَا تَجْعَلْ يَدَكَ مَغْلُولَةً إِلَىٰ عُنُقِكَ وَلَا تَبْسُطْهَا كُلَّ الْبَسْطِ فَتَقْعُدَ مَلُومًا مَّحْسُورًا" (الإسراء: ٢٩). وفي هذه الآية حكمة بليغة حيث "بيّنت أن المحمود في العطاء هو الوسط الواقع بين طرفي الإفراط والتفريط، وهذه



الأوساط هي حدود المحامد بين المذام في كل حقيقة لها طرفان... وأن الوسط هو العدل، فالإنفاق والبذل حقيقة أحد طرفيها الشح وهو مفسدة للمحاويج ولصاحب المال، إذ يجز إليه كراهية الناس إياه وكراهيته إياهم. والطرف الآخر التبذير والإسراف، وفيه مفاصد لذي المال وعشيرته" (ابن عاشور، ١٩٩٥، ٢١٩/٨). ويقول الله تعالى في حق المؤمنين "وَالَّذِينَ إِذَا أَنْفَقُوا لَمْ يُسْرِفُوا وَلَمْ يَقْتُرُوا وَكَانَ بَيْنَ ذَلِكَ قَوَامًا" (الفرقان: ٦٧) وهذا يعني أنهم "ليسوا بمبذرين في إنفاقهم فيصرفون فوق الحاجة، ولا بخلاء على أهلهم فيفصرون في حقهم فلا يكفونهم، بل عدلاً خياراً، وخير الأمور أوسطها" (ابن كثير، ١٩٩٩، ١٢٤/٦).

ومن ذلك يتضح أن المسلم ينبغي عليه أن يتوسط في نفعه للناس، فلا يكون مسرفاً فيضيّع نفسه ومن يعول، ولا يكون بخيلاً مقترراً مقصراً في حق أبناء أمته ومجتمعه.

#### د- الصحة والحرص

إن أفضل أحوال نفع المسلم للناس أن يكون صحيحاً شحيحاً؛ والصحة تعني الفتوة والقوة والإنتاج والغنى، والشح يعني حرص الإنسان على المال والثروة. وإذا أنفق الإنسان في حال الغنى والقوة كان ذلك أنفع للمحتاج والضعيف، وإذا أنفق في حال الشح كان ذلك أدفع للصفات السيئة في الإنسان التي هي جزء من طبيعته "وَأَحْضِرَتِ الْأَنْفُسُ الشُّحَّ" (النساء: ٢٨) ولذلك كان بذل الإنسان في حال الصحة والحرص أفضل أنواع البذل. قال النبي ﷺ محبباً رجلاً سأله: أي الصدقة أعظم أجراً: "أن تصدق وأنت صحيح شحيح تخشى الفقر وتأمل الغنى، ولا تمهل حتى إذا بلغت الحلقوم قلت: لفلان كذا، ولفلان كذا، وقد كان لفلان" (صحيح البخاري، كتاب الزكاة، رقم الحديث: ١٣٣٠) وقد نقل الإمام النووي عن الخطابي في شرحه للحديث السابق قوله: "فمعنى الحديث أن الشح غالب في حال الصحة، فإذا شح فيها وتصدق كان أصدق في نيته وأعظم لأجره، بخلاف من أشرف على الموت وأيس من الحياة ورأى مصير المال لغيره، فإن صدقته حينئذ ناقصة بالنسبة إلى حالة الصحة والشح رجاء البقاء وخوف الفقر" (صحيح مسلم بشرح النووي، كتاب الزكاة، رقم الحديث: ١٧١٣).

وبذلك يظهر أن المسلم يحقق أعظم ثمرات نفع الناس عندما يستفيد من مرحلة الشباب والصحة والإنتاج، ويضيف إلى ذلك تخلصه من أوشاب الشح والحرص اللذين قد يمنعانه من خدمة الناس ونفعهم.

#### هـ- المبادرة

حث الإسلام المسلمين على المسارعة إلى فعل الخيرات والمبادرة إليها، ومن ذلك حثه على أن ينفع المسلم إخوانه بالنفقة وأن يُبادر إلى ذلك لنلا يقطع الموت عليه الطريق ويحرمه من ثواب خدمة إخوانه وبذل النفع لهم. قال الله تعالى: "وَأَنْفِقُوا مِنْ مَّا رَزَقْنَاكُمْ مِّن قَبْلِ أَنْ يَأْتِيَ أَحَدَكُمُ الْمَوْتُ فَيَقُولَ رَبِّ لَوْلَا أَخَّرْتَنِي إِلَى أَجَلٍ قَرِيبٍ فَأَصَّدَّقَ وَأَكُن مِّن الصَّالِحِينَ" (المنافقون: ١٠). قال السعدي، ٢٠٠٠، ٨٦٥/١) معلقاً على تفسيره لهذه الآية: "فليشكروا الذي أعطاهم، بمواساة إخوانهم المحتاجين، وليبادروا بذلك الموت الذي إذا جاء، لم يمكن العبد أن يأتي بمقدار

ذرة من الخير". وذكر الله تعالى أن من صفات المؤمنين أنهم "يُسَارِعُونَ فِي الْخَيْرَاتِ" (آل عمران: ١١٤) أي: "يبادرون بها غير متناقلين عن تأديتها لمعرفةهم بقدر ثوابها" (الشوكاني، ٢٠٠٢، ١٥/٢).

ومما سبق يتبين لنا أهمية المبادرة في نفع الناس بالإتفاق وفعل الخيرات، لما في المبادرة من فائدة وأجر للمنفق النافع، ومصلحة للمحتاج المنتفع.

#### و- الإحسان والجودة

إن الإحسان في عمل الإنسان كله من مطالب الشرع الأساسية حيث قال الله تعالى: "وَأَحْسِنُوا إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُحْسِنِينَ" (البقرة: ١٩٥). وقال النبي ﷺ: "إن الله كتب الإحسان على كل شيء" (صحيح مسلم، كتاب الصيد والذبائح، رقم الحديث: ٣٦١٥)، وأمر النبي ﷺ كذلك بإتقان العمل وإجادته حيث قال: "إن الله يحب إذا عمل أحدكم عملاً أن يتقنه" (الألباني، السلسلة الصحيحة، ١٠٦/٣).

وقد أمر الله تعالى المسلم بالإحسان في كل ما يبذله للناس من نفع معنوي أو مادي، حيث قال تعالى في جانب النفع المعنوي: "ادْعُ إِلَى سَبِيلِ رَبِّكَ بِالْحُكْمِ وَالْمَوْعِظَةِ الْحَسَنَةِ وَجَادِلْهُمْ بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ" (النحل: ١٢٥)، وقال كذلك: "وَقُلْ لِعِبَادِي يَقُولُوا الَّتِي هِيَ أَحْسَنُ" (الإسراء: ٥٣)، وقال أيضاً: "وَلَا تُجَادِلُوا أَهْلَ الْكِتَابِ إِنَّا بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ إِنَّا الَّذِينَ ظَلَمُوا مِنْهُمْ" (العنكبوت: ٤٦). أما في جانب النفع المادي فقال سبحانه وتعالى: "وَلَا تُقْرَبُوا مَالَ الْيَتِيمِ إِلَّا بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ" (الإسراء: ٣٤).

إن المتأمل في الآيات والأحاديث السابقة يلاحظ أن الشارع قد أوصى بتجويد كل ما يصدر عن الإنسان المسلم من أقوال وأفعال، وتحسين مستوى الأداء في جميع الجوانب، وذلك لما في تحسين العمل وتجويد الأداء من فوائد وقيم نافعة لجميع الناس الذين يتبادلون المنافع المعنوية والمادية. ومن المؤكد أن حرص المسلم على تحسين أدائه وممارسته -فضلاً عن كونه استجابة لأمر الشارع- يساهم بشكل كبير في إشاعة ثقافة الجودة في الأداء التي تنفقر إليها مجتمعاتنا المسلمة.

#### ز- الحرص على تأليف القلوب

من جوانب النفع التي يمكن أن يبذلها الإنسان المسلم تأليف قلوب الناس الضعيفة بالإحسان إليهم لتقوى نفوسهم وتثبيت أقدامهم على الحق. قال رسول الله ﷺ: "إني لأعطي الرجل العطاء وغيره أحب إلي منه مخافة أن يكب على وجهه" (سنن أبي داود، كتاب السنة، رقم الحديث: ٤٠٦٥) وهذا يعني أن النبي ﷺ كان يُعطي بعض الناس بقصد تأليف قلوبهم على الدين وإبعادهم عن طريق الغواية المؤدي إلى النار. ومن المعلوم أن من مصارف الزكاة المعتبرة صنف "المؤلفة قلوبهم" الذين يُعطون من الصدقات تحبباً لهم في الدين وتقوية لنفوسهم وثبتيماً لقلوبهم على الحق، وفي ذلك أتم النفع لهم.

## ٢- ضوابط متعلقة بالمنتفع

هناك ضوابط للنتف المتبادل بين الناس متعلقة بالمنتفع أي المستفيد من النتف بشكل مباشر، ذلك لأن المنتفع هو الركن الثاني من أركان النتف التي ذكرت سابقاً، وهي النافع والمنتفع والمنفعة، وبوجود هذه الضوابط تحقق المنفعة أقصى مدى من الثمرات والفوائد. ويمكن إجمال هذه الضوابط على النحو الآتي:

### ١- الإيمان والتقوى

إن من الأمور التي تجعل النتف يوتي أكله على أتم وجه أن يكون المنتفع مؤمناً تقياً، لأنه حينئذٍ يستخدم المنفعة في سبيل الطاعة والإصلاح بخلاف الفاسق أو المنافق الذي يسخر ما يملكه في الفجور والإثم. يقول النبي ﷺ: "لا تصاحب إلا مؤمناً، ولا يأكل طعامك إلا تقي" (سنن الترمذي، كتاب الزهد، رقم الحديث: ٢٣١٨) وحسنه الألباني رحمه الله. والمقصود بالمؤمن كما بيّنه "الأحوذى" في شرحه للحديث أي من جنس المؤمنين، ولا يأكل طعامك إلا تقي، أي متورع بصرف قوة الطعام إلى عبادة الله.

وكلما كان المنتفع أكثر إيماناً وتقوى كان صرفه لما يحصل عليه من منافع في الخير والطاعة أكمل وأتم، وهذا يجعل المنفعة متداولة بين المسلمين بما يساهم في استقرار المجتمع. أما إذا كان المنتفع فاسقاً أو مارقاً فإنه سوف يحتكر المنفعة والثورة لنفسه أو يستخدمها في أمور مضرة بالمجتمع.

### ب- قدر الحاجة

كلما كان المنتفع أكثر حاجة كانت ثمرة المنفعة أعظم، لما فيها من سد حاجة من هو أحق الناس بها. وقد ذكر القرآن الكريم عن المؤمنين أنهم ينفعون أصنافاً من الناس أكثر حاجة من غيرها، وأولى بالنتف. قال الله تعالى في وصف المؤمنين: "وَيُطْعَمُونَ الطَّعَامَ عَلَى حُبِّهِ مِسْكِينًا وَيَتِيمًا وَأَسِيرًا" (الإنسان: ٨).

إن الآية السابقة توضح أن من صفات الأبرار أنهم يطعمون الطعام على حبه أي: على حبهم إياه وشهوتهم له المسكين الذي أذنته الحاجة، والطفل الذي مات أبوه ولا شيء له، والأسير وهو الحربي من أهل دار الحرب يؤخذ قهراً بالغلبة، أو المسلم الذي يُحبس بحق (الطبري، ٢٠٠٠، ٩٧/٢٤).

والآية بذلك تشير إلى أربعة أصناف من الناس يستحقون العطاء والنتف أكثر من غيرهم وقد جعل الشارع الحكيم مصارف الصدقات في الأصناف الثمانية المعروفة من الناس. يقول الله تعالى: "إِنَّمَا الصَّدَقَاتُ لِلْفُقَرَاءِ وَالْمَسْكِينِ وَالْعَامِلِينَ عَلَيْهَا وَالْمُؤَلَّفَةِ فُلُوبُهُمْ وَفِي الرِّقَابِ وَالْغَارِمِينَ وَفِي سَبِيلِ اللَّهِ وَأَبْنِ السَّبِيلِ فَرِيضَةً مِّنَ اللَّهِ وَاللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ" (التوبة: ٦٠). وذهب (الطبري، ٢٠٠٠، ٣١٦/٤) إلى أن الفقير هو المحتاج المتعفف عن المسألة، والمسكين هو المحتاج المتذلل للناس بالمسألة. والمقصود بقوله: "وفي الرقاب" المكاتبون يُعطون في فك

رقابهم. والغارمون هم الذين استدانوا في غير معصية ثم لم يستطيعوا القضاء، ويدخل فيهم من دخل عليه عُرم بسبب سيل أو حريق أو مصيبة. وهؤلاء الذين نقلنا قول الإمام الطبري في شأنهم هم أربعة أصناف يعطون من الصدقات لسبب شدة حاجتهم وفاقتهم. أما الأصناف الأربعة الأخرى فهم يُعطون لأسباب أخرى وليس للحاجة المحضة\*).

ومما يدل على رعاية الإسلام لمصلحة المحتاج للمنفعة أنه جعل الإحسان إليه بين درجتي الوجوب والاستحباب بحسب الحال. يقول الله تعالى: "وَإِنْ كَانَ ذُو عُسْرَةٍ فَنَظِرَةٌ إِلَىٰ مَيْسَرَةٍ وَأَنْ تَصَدَّقُوا خَيْرٌ لَكُمْ إِنْ كُنْتُمْ تَعْلَمُونَ" (البقرة: ٢٨٠) أي: وإن كان المدين معسراً لا يجد وفاءً فيجب إنظاره وإمهاله حتى يجد ما يوفى به. والتصدق في هذا الحال إما بإسقاط الدين أو بعبءه خيراً للإنسان. (السعدي، ٢٠٠٠، ١١٦/١).

### ج- الاستعفاف

أن أحق الناس بالنفع والعطاء هم الذين يجمعون بين الحاجة والعفة التي تمنعهم من الإلحاح على الناس بالسؤال، يقول الله تعالى: "لِلْفُقَرَاءِ الَّذِينَ أَحْصَرُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ لَا يَسْتَطِيعُونَ ضَرْبًا فِي الْأَرْضِ يَحْسَبُهُمُ الْجَاهِلُ أَغْنِيَاءَ مِنَ التَّعَفُّفِ تَعْرِفُهُمْ بِسِيمَاهُمْ لَا يَسْأَلُونَ النَّاسَ إِلْحَافًا وَمَا تُثَقِّفُوا مِنْ خَيْرٍ فَإِنَّ اللَّهَ بِهِ عَلِيمٌ" (البقرة: ٢٧٣). ويعقب الشيخ السعدي على هذا الصنف من الناس بقوله: "فهؤلاء أولى الناس وأحقهم بالصدقات لما وصفهم به من جميل الصفات" (السعدي، ٢٠٠٠، ١١٦/١) وإذا كان هذا الصنف من الناس أحق بالصدقة والنفع، فإن على الإنسان الذي يتوخى أعظم الأجر والثواب أن يجتهد في البحث عن هذا الصنف الذي يتعفف على الرغم من فاقتهم، ولا يلح على الناس بالسؤال مع شديد حاجته. وقد حث النبي ﷺ المسلم على أن يتحرى لعطائه وصدقته بحيث تقع في موضعها وتصل إلى أحق الناس بها، حيث قال: "ليس المسكين بهذا الطواف الذي يطوف على الناس فترده اللقمة واللقمتان والتمرة والتمرتان. قالوا: فما المسكين يا رسول الله، قال: الذي لا يجد غنى يغنيه، ولا يُفطن له فيُصدق عليه، ولا يسأل الناس شيئاً" (صحيح مسلم، كتاب الزكاة، رقم الحديث: ١٧٢٢).

وبين الإمام النووي رحمه الله معنى الحديث في شرحه لصحيح مسلم بقوله: "معناه: المسكين الكامل المسكنة الذي هو أحق بالصدقة وأحوج إليها ليس هو هذا الطواف". والحديث السابق مروى أيضاً في صحيح البخاري بلفظ مقارب، وقال الإمام ابن حجر العسقلاني رحمه الله

في شرحه للحديث: "وفي الحديث أن المسكنة إنما تُحمد مع العفة عن السؤال والصبر على الحاجة، وفيه استحباب الحياء في كل الأحوال، وحسن الإرشاد لوضع الصدقة، وأن يتحرى وضعها فيمن صفتها التعفف دون الإلحاح" (صحيح البخاري، كتاب الزكاة، رقم الحديث: ١٣٨٢).

(\* إذا أردت التفصيل فانظر (الطبري، ٢٠٠٠، ٤/٣١٧).

وبذلك يظهر أن صفة الاستعفاف المتمثلة في الإنسان المحتاج المنتفع تجعل النفقة أكثر أجراً بالنسبة لباذلها، وبالتالي على باذل النفع أن يتحرى لصدقته المحتاج العفيف الذي يمنعه حياؤه من إعنات الناس بالسؤال.

#### د- درجة القرابة

إن قرابة المستفيد من العطاء والنفع تجعله أولى من غيره بالعطاء والنفع، ذلك لأن القرابة تضيف حقاً آخر للإنسان على قريبه. وبالتالي يكون نفعه والتوسعة عليه أولى من نفع من هو أبعد منه. يقول الله تعالى: "يَسْأَلُونَكَ مَاذَا يُنْفِقُونَ قُلْ مَا أَنْفَقْتُمْ مِنْ خَيْرٍ فَلِلْوَالِدَيْنِ وَالْأَقْرَبِينَ وَالْيَتَامَى وَالْمَسَاكِينِ وَابْنِ السَّبِيلِ وَمَا تَفْعَلُوا مِنْ خَيْرٍ فَإِنَّ اللَّهَ بِهِ عَلِيمٌ" (البقرة: ٢١٥). يقول (الرازي، ٣، ٢٥٨/٢٠٠٠) في تفسيره لهذه الآية: "وفيه إشارة إلى أنه ليس بعد رعاية حق الله تعالى شيء أوجب من رعاية حق الوالدين... فلهذا أوجب تقديمهما على غيرهما في رعاية الحقوق، ثم ذكر تعالى بعد الوالدين الأقربين" ثم ذكر "الرازي" مسوغات تقديم الأقربين على غيرهم بقوله في الموضوع ذاته: "والقرابة تصلح أن تكون سبباً للترجيح من وجوه أحدها: أن القرابة مظنة المخالطة، والمخالطة سبب لاطلاع كل واحد منهم على حال الآخر... وذلك من أقوى الحوامل على الإنفاق، وثانيها: أنه لو لم يراع جانب الفقير، احتاج الفقير للرجوع إلى غيره وذلك عار وسيئة في حقه، فالأولى أن يتكفل بمصالحهم دفعا للضرر عن النفس، وثالثهما: أن قريب الإنسان جار مجرى الجزء منه، والإنفاق على النفس أولى من الإنفاق على الغير".

وفي السياق ذاته بين النبي ﷺ أن درجة قرابة الإنسان تجعل نفعهم والنفقة عليهم أولى من بذل النفع لغيرهم، حيث قال النبي ﷺ: "دينار أنفقته في سبيل الله، ودينار أنفقته في رغبة، ودينار تصدقت به على مسكين، ودينار أنفقته على أهلك، أعظمها أجراً الذي أنفقته على أهلك" (صحيح مسلم، كتاب الزكاة، رقم الحديث: ١٦٦١).

وذكر الإمام النووي رحمه الله في تقديمه لأحاديث الباب المشتملة على الحديث السابق أن مقصود الباب الحث على النفقة على العيال، وبيان عظم الثواب فيه، لأن منهم من تجب نفقته بالقرابة، ومنهم من تكون مندوبة وتكون صدقة وصلة، ومنهم من تكون واجبة بملك النكاح أو ملك اليمين، وهذا كله فاضل محثوث عليه، وهو أفضل من صدقة التطوع.

وبذلك يظهر أن درجة القرابة لها تأثير كبير في توجيه الإنفاق والنفع نحو الأقرب فالأقرب، لما لذلك من تأثير اجتماعي ونفسي على الأقارب ولما يترتب عليه من جزاء وثواب لا يماثله غيره من أبواب النفع والنفقة. ويؤكد الرسول ﷺ هذا المعنى بقوله: "يد المعطي العليا وابدأ بمن تعول: أمك وأباك وأختك وأخاك ثم أدناك أدناك" (سنن النسائي، كتاب الزكاة، رقم الحديث ٢٤٨٥) وصححه الألباني.

#### هـ- القابلية لتعديل السلوك

سبق وأن ذكر في الضوابط المتعلقة بالمنتفع أن النفع يكون أكثر ثواباً كلما انصرف إلى المؤمن التقى؛ ومع ذلك فإن هناك أحوالاً تسوغ تقديم المنفعة لغير المؤمن التقى ومنها تأليف

القلوب كما سبق ذكره، ومنها قابلية الإنسان المنتفع بالعتاء لتعديل سلوكه والارتقاء بممارساته نحو الأكل، وقد وردت الإشارة إلى هذا الاعتبار في حديث "مسلم" عن ابن شهاب قال: "غزا رسول الله ﷺ غزوة الفتح فتح مكة ثم خرج رسول الله ﷺ بمن معه من المسلمين فاقتلوا بحنين فنصر الله دينه والمسلمين، وأعطى رسول الله ﷺ يومئذ صفوان بن أمية مائة من الغنم ثم مائة ثم مائة. قال ابن شهاب: حدثني سعيد بن المسيب أن صفوان قال: والله لقد أعطاني رسول الله ﷺ ما أعطاني وإنه لأبغض الناس إلي، فما برح يُعطيني حتى إنه لأحب الناس إلي" (صحيح مسلم، كتاب الفضائل، رقم الحديث: ٤٢٧٧).

إن النبي ﷺ أعطى صفوان ابن أمية ما أعطاه - وغيره أتقى منه- لما يتوخاه النبي ﷺ من تعديل سلوك صفوان بن أمية وتقوية إيمانه. وهذا ما كان بالفعل كما ورد في الحديث. ويؤكد هذا المعنى حديث "مسلم" أيضاً "عن أنس أن رجلاً سأل النبي ﷺ غنماً بين جبلين فأعطاه إياه، فأتى قومه فقال: أي قوم أسلموا فوالله إن محمداً يعطي عطاءً ما يخاف الفقر، فقال أنس: إن كان الرجل لئسلم ما يريد إلا الدنيا فما يسلم حتى يكون الإسلام أحب إليه من الدنيا وما عليها" (صحيح مسلم، كتاب الفضائل، رقم الحديث: ٤٢٧٦).

وأصرح من ذلك في بيان المعنى المراد ما جاء في الحديث المتفق عليه أن رسول الله ﷺ قال: "قال رجل: لا تصدقن بصدقة، فخرج بصدقته فوضعها في يد سارق، فأصبحوا يتحدثون: تُصدق على سارق، فقال: اللهم لك الحمد، لا تصدقن بصدقة فخرج فوضعها في يدي زانية، فأصبحوا يتحدثون: تُصدق الليلة على زانية، فقال اللهم لك الحمد على زانية، لا تصدقن بصدقة، فخرج بصدقته فوضعها في يدي غني، فأصبحوا يتحدثون: تُصدق على غني، فقال اللهم لك الحمد، على سارق وعلى زانية وعلى غني، فأتي فقيل له: أما صدقتك على سارق، فلعله أن يستعف عن سرقة، وأما الزانية فلعلها أن تستعف عن زناها، وأما الغني فلعله يعتبر فينفق مما أعطاه الله" (صحيح البخاري، كتاب الزكاة، رقم الحديث: ١٣٣٢).

وقد أورد الإمام ابن حجر العسقلاني في شرحه للحديث السابق روايات أخرى تدل على قبول صدقة الرجل، وقرّر رحمه الله أن التنصيص في الحديث على رجاء الاستعفاف يدل على تعدي تعميم الحكم الوارد في الحديث، وهو قبول الصدقة إذا وُجدت الأسباب المذكورة في الحديث. وهذا يدل على أن استعداد الأصناف الثلاثة المذكورة في الحديث لتعديل سلوكهم بواسطة النفع الذي وصلهم، ساهم في قبول الصدقة المبذولة لهم.

#### و- الصد والإعراض

إن المنفق الذي يعطي العطاء للمحتاج الذي يظهر له العداوة والصد والإعراض، تعد صدقته من أفضل الصدقات، وذلك لأنها تكون خالية من هوى النفس، ولأنها قد تقلب العداوة إلى محبة أو تخفف من غلوئها على أقل تقدير. وقد جاء في حديث النبي ﷺ ما يبين هذا المعنى حيث قال: "إن أفضل الصدقة الصدقة على ذي الرحم الكاشح" (مسند أحمد، كتاب مسند الأنصار، رقم الحديث: ٢٢٤٣٠) وصححه الألباني.

وقد ورد الحديث أيضاً في موطأ مالك، ورجح القرطبي في شرحه لمعاني الموطأ أن معنى "ذي الرحم الكاشح" المبغض المعادي. (القرطبي، دت، ٢٠٧/١).

وبهذا يتبين أن المنتفع إذا كان كاشحاً معادياً للمنفق، فإن نفعه والتصدق عليه يكون أفضل "لما فيه من قهر النفس للإذعان لمعاديها" (المنافق، ١٩٩٨، ٣٧٠/١).

وقد جاء حديث آخر للنبي ﷺ يؤكد المعنى السابق في صحيح الإمام مسلم "عن أبي هريرة أن رجلاً قال يا رسول الله: إن لي قرابة أصلهم ويقطعونني، وأحسن إليهم ويسيئون إليّ، وأحلم عنهم ويجهلون عليّ، فقال: لئن كنت كما قلت فكأنما تسفهم المل، ولا يزال معك من الله ظهير عليهم ما دمت على ذلك" (صحيح مسلم، كتاب البر والصلة والآداب، رقم الحديث ٤٦٤٠) وجاء في شرح الإمام النووي للحديث: "ومعناه كأنما تطعمهم الرماد الحار، وهو تشبيه لما يلحقهم من الألم بما يلحق أكل الرماد الحار من الألم، ولا شيء على هذا المحسن، بل ينالهم الإثم العظيم في قطيعته وإدخالهم الأذى عليه. وقيل: معناه إنك بالإحسان إليهم تخزيهم وتحقرهم في أنفسهم لكثرة إحسانك وقبيح فعلهم".

وخطاب النبي ﷺ للرجل يعني: "فاستمر على صلتهم، ولو كانوا يقطعونك، ولو كانوا يسيئون إليك، ولو كانوا يعتدون عليه (العثيمين، ٢٠٠٢، ١٨٢٥/١).

وجاء في صحيح البخاري قوله ﷺ: "ليس الواصل بالمكافئ، ولكن الواصل الذي إذا قطعت رحمه وصلها" (صحيح البخاري، كتاب الأدب، رقم الحديث: ٥٥٣٢) ونقل الإمام ابن حجر العسقلاني رحمه الله في شرحه الحديث السابق - عن الطيبي قوله: "المعنى ليست حقيقة الواصل ومن يُعتد بصلته من يكافئ صاحبه بمثل فعله، ولكنه من يتفضل على صاحبه".

وبذلك يظهر أن صلة الرحم التي يؤجر عليها المرء عظيم الأجر هي الصلة التي يبدأ بها الإنسان قريبه، ولو كان قريبه قاطعاً للرحم معرضاً عنه. وهذه الدرجة أعلى من درجة الإنسان المكافئ الذي يكافئ أقاربه بحسب ما يقدمونه له من صلة الأرحام.

### ٣- ضوابط متعلقة بالمنفعة

سبق قريباً الحديث عن ضوابط النفع المتعلقة بالنافع والمنتفع، وثمة ضوابط متعلقة بالمنفعة ذاتها، إذا وجدت هذه الضوابط كان النفع أكمل وأحب إلى الله عز وجل. ويمكن عرض هذه الضوابط على النحو الآتي:

#### أ- درجة الإلزام الشرعي

تزداد قيمة المنفعة المبذولة من الإنسان كلما كانت ألزم من الناحية الشرعية، وهذا يعني أن النفع -كالإنفاق ونحوه- إذا كان فرضاً أصبح مقدماً على النفع المستحب أو النافلة. وهذا الأمر عام في سائر أنواع الطاعات من صلاة وزكاة وصدقة وغير ذلك. قال رسول الله ﷺ: "من عادى لي ولياً فقد آذنته بالحرب، وما تقرب إلي عبدي بشيء أحب إلي مما افترضته عليه، وما يزال عبدي يتقرب إلي بالنوافل حتى أحبه" (صحيح البخاري، كتاب الرقاق، رقم الحديث: ٦٠٢١).

والشاهد في قوله ﷺ: "وما تقرب إلي عبدي بشيء أحب إلي مما افترضته عليه". وقال الإمام ابن حجر العسقلاني شارحاً لموضع الشاهد من الحديث: "ويستفاد منه أن أداء الفرائض أحب الأعمال إلى الله. قال الطوفي: الأمر بالفرائض جازم ويقع بتركها المعاقبة بخلاف النقل... فكانت الفرائض أكمل، فلماذا كانت أحب إلى الله تعالى وأشد تقرباً، وأيضاً فالفرض كالأصل والأس والنفل كالفرع والبناء، وفي الإتيان بالفرائض على الوجه المأمون به امتثال الأمر واحترام الأمر وتعظيمه بالانقياد إليه وإظهار عظمة الربوبية وذل العبودية فكان التقرب بذلك أعظم العمل".

وبذلك يُعلم أن الواجبات الشرعية مقدمة على النوافل والمستحبات، ولذلك فإن النفقة أو المنفعة الواجبة شرعاً ألزم للمسلم من غيرها وأحب إلى الله وأكثر ثواباً. وهذا من ترتيب الأولويات المعروف في الشرع الإسلامي، حيث إنه يقدم الأهم على المهم. ولذلك جعل الإسلام أولى المنافع هي التي تُبذل للأهل والولد "وابداً بمن تعول"، ثم يتلوها المنافع التي تُبذل لغيرهم.

### ب- الحلال الطيب

وجّه الإسلام الإنسان المؤمن فيما يخص المنفعة التي يقدمها للناس إلى ضرورة أن تكون هذه المنفعة أو الصدقة من الرزق الحلال الطيب لأنها بذلك تُقبل عند الله عز وجل وتحقق أثرها المرجو في الحياة الدنيا. قال الله تعالى: "يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا أَنْفِقُوا مِنْ طَيِّبَاتِ مَا كَسَبْتُمْ وَمِمَّا أَخْرَجْنَا لَكُمْ مِنَ الْأَرْضِ وَلَا تَيَمَّمُوا الْخَبِيثَ مِنْهُ تُنْفِقُونَ وَلَسْتُمْ بِآخِذِيهِ إِلَّا أَنْ تُغْمِضُوا فِيهِ وَاعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ غَنِيٌّ حَمِيدٌ" (البقرة: ٢٦٧).

ويفسر (السعدي، ٢٠٠٠، ١/١١٥) هذه الآية بقوله: "يأمر تعالى عباده المؤمنين بالنفقة من طيبات ما يسر لهم من المكاسب، ومما أخرج لهم من الأرض؛ فكما منّ عليكم بتسهيل تحصيله فأنفقوا منه شكراً لله وأداء لبعض حقوق إخوانكم عليكم، وتطهيراً لأموالكم، واقتصادوا في تلك النفقة الطيب التي تحبونه لأنفسكم، ولا تيمموا الرديء الذي لا ترغبونه ولا تأخذونه إلا على وجه الإغماض والمسامحة".

ويظهر بذلك ضرورة أن يُنفق المسلم من كسب حلال طيب، ليكون نفعه لغيره أتم وأرجى عند الله. ويؤكد هذا المعنى ما رواه مسلم في صحيحه من قول النبي ﷺ: "إن الله طيب لا يقبل إلا طيباً، وإن الله أمر المؤمنين بما أمر به المرسلين" (صحيح مسلم، كتاب الزكاة، رقم الحديث: ١٦٨٦). وذكر الإمام النووي في شرحه للحديث ما نصه: "وفيه الحث على الإنفاق من الحلال، والنهي عن الإنفاق من غيره".

وهذا يؤكد على أن تكون المنفعة التي ينفقها الإنسان من جنس الحلال الطيب. وقد بين النبي ﷺ ما يترتب على الإنفاق من الكسب الطيب من عظيم الأجر والثواب بقوله: "من تصدق بعدل تمرة من كسب طيب، ولا يقبل الله إلا الطيب، وإن الله يتقبلها بيمينه ثم يربها لصاحبه كما يربي أحدكم فلوه، حتى تكون مثل الجبل" (صحيح البخاري، كتاب الزكاة، رقم الحديث: ١٣٢١).



وبناءً على ما سبق يتبين أن من ضوابط المنفعة المؤثرة في الدنيا والآخرة أن تكون من حلال الكسب وطيب الرزق.

### ج- الثمانية

جعل الشارع كمال الأجر والمثوبة مرتبطاً بقيمة المنفعة التي يبذلها الإنسان للناس، حيث إن الثواب يكون أكمل في حال إنفاق الإنسان من نفائس ما يملك. قال الله عز وجل: "لن تتألوا البرَّ حتى تُنفقوا مما تُحبونَ وما تُنفقوا من شيءٍ فإنَّ اللهَ بهِ عليمٌ" (آل عمران: ٩٢).

يقول الشيخ (السعدي: ٢٠٠٠، ١/١٣٨) في بيان معنى الآية: "هذا حث من الله لعباده على الإنفاق في طرق الخيرات، فقال: (لن تتألوا) أي: تدركوا وتبلغوا البر الذي هو كل خير من أنواع الطاعات وأنواع المثوبات الموصل لصاحبه إلى الجنة، (حتى تنفقوا مما تحبون) أي: من أموالكم النفيسة التي تحبها نفوسكم... فيدخل في ذلك إنفاق نفائس الأموال، والإنفاق في حال حاجة المنفق إلى ما أنفقه، والإنفاق في حال الصحة. ودلت الآية أن العبد بحسب إنفاقه للمحوبات يكون بره، وأنه ينقص من بره بحسب ما نقص من ذلك".

وقال الله تعالى في بيان معنى البر "وَأَتَى الْمَالَ عَلَى حُبِّهِ" (البقرة: ١٧٧).

ومعنى (على حبه) أي: أخرجه وهو محب له، راغب فيه. نص على ذلك ابن مسعود وسعيد بن جببر وغيرهما. (ابن كثير، ١٩٩٩، ١/٤٨٦). وقد فهم أبو طلحة الأنصاري أن الشارع يحث على إنفاق الشيء الثمين الذي يحبه ويهواه الإنسان لكي يظفر بالثواب الجزيل، حيث "قام أبو طلحة إلى رسول الله ﷺ فقال: يا رسول الله: إن الله تبارك وتعالى يقول: (لن تتألوا البر حتى تنفقوا مما تحبون) وإن أحب أموالي إلي بئرحاء وإنها صدقة لله، أرجو برها وذخرها عند الله، فضعها يا رسول الله حيث أراك الله. قال: فقال رسول الله ﷺ: بخ ذلك مال رابح، ذلك مال رابح، وقد سمعت ما قلت وإني أرى أن تجعلها في الأقربين، فقال أبو طلحة: أفعل يا رسول الله، فقسمها أبو طلحة في أقاربه وبني عمه" (صحيح البخاري، كتاب الزكاة، رقم الحديث: ١٣٦٨).

والمتمثل في الآيتين السابقتين والحديث يدرك أن الإسلام يجعل ثمانية العطاء والنفق الذي يقدمه الإنسان للناس من أهم أسباب رفعة الدرجة وتحصيل الأجر والثواب.

### د- النفع المتعدي

يوضح لنا الإسلام أن المنفعة المتعدية أفضل من المنفعة القاصرة على صاحبها، وقد بين هذا المعنى حديث حسنه الألباني رحمه الله عن عبد الله بن عمر رضي الله عنهما أن رجلاً جاء إلى رسول الله ﷺ، فقال: يا رسول الله، أي الناس أحب إلى الله، فقال: "أحب الناس إلى الله أنفعهم للناس، وأحب الأعمال إلى الله عز وجل سرور تدخله على مسلم، تكشف عنه كربته، أو تقضي عنه ديناً، أو تطرد عنه جوعاً، ولأن أمشي مع أخ في حاجة أحب إلي من أن أعتكف في هذا المسجد يعني مسجد المدينة شهراً، ومن كظم غيظه ولو شاء أن يمضيه أمضاه ملاً الله

قلبه يوم القيامة رضى، ومن مشى مع أخيه في حاجة حتى يقضيها له ثبت الله قدميه يوم تزول الأقدام" (الألباني، صحيح الترغيب والترهيب، رقم الحديث: ٢٦٢٣). والحديث السابق يُظهر بجلاء أن المنافع المتعدية الذي يبذلها المسلم للناس خير من المنافع القاصرة على شخص الإنسان ومقدمة عليها في ميزان الشرع.

وجاء في حديث آخر أن المنافع المتعدية هي من الأمور التي يختص الله بها أقواماً، والاختصاص يدل على الاختيار والتمييز لهؤلاء الناس. حيث قال النبي ﷺ: "إن لله أقواماً اختصهم بالنعم لمنافع العباد، يقرهم فيها ما بذلوا، فإذا منعوا نزعها منهم فحولها إلى غيرهم" (الألباني، صحيح الترغيب والترهيب (٢)، رقم الحديث: ٢٦١٧).

وبذلك يتبين أن المنفعة المتعدية التي يبذلها المسلم لغيره أعلى درجة وأحسن عاقبة من المنفعة القاصرة.

#### هـ- المنفعة الدينية خير من المنفعة الدنيوية

إن المنفعة الدينية التي ينبنى عليها الجزاء الأخروي أعلى درجة من المنفعة الدنيوية، وذلك لأن المنفعة الدينية يكون بها صلاح الآخرة وأما المنفعة الدنيوية فيكون بها صلاح الدنيا. وقد أكد النبي ﷺ عندما أعطى الراية يوم خيبر لعلي بن أبي طالب رضي الله عنه ثم أمره أن يأتي قوماً فيدعوهم إلى الإسلام، حيث قال له النبي ﷺ: "انفذ على رسلك حتى تنزل بساحتهم، ثم ادعهم إلى الإسلام، وأخبرهم بما يجب عليهم من حق الله، فوالله لأن يهدي الله بك رجلاً واحداً خير لك من أن يكون لك حمر النعم" (صحيح البخاري، كتاب المغازي، رقم الحديث: ٣٨٨٨).

والمراد بقوله: "لأن يهدي الله بك رجلاً ... الخ" -كما بينه ابن حجر العسقلاني في شرحه للحديث- أن هداية رجل واحد بسببك خيرٌ لك من أن تكون لك حمر النعم فتصدق بها. وروى الحديث أيضاً الإمام مسلم في صحيحه، وجاء في شرح الإمام النووي لهذا الحديث قوله: "وقد سبق بيان أن تشبيه أمور الآخرة بأعراض الدنيا إنما هي للتقريب من الأفهام، وإلا فذرة من الآخرة الباقية خيرٌ من الأرض بأسرها" (صحيح مسلم، كتاب فضائل الصحابة، رقم الحديث: ٤٤٢٣).

وقد أشار عبادة بن الوليد على كعب بن عمر -رضي الله عنهم جميعاً- أن يأخذ من غلامه متاعاً فقال له كعب بن عمر: "أشهد لسمعت رسول الله ﷺ يقول: أطعموهم مما تأكلون، واكسوهم مما تكتسون، يا ابن أخي ذهاب متاع الدنيا أحب إلي من أن يأخذ من متاع الآخرة". (الألباني، الأدب المفرد، ٢٥٧/١، رقم الحديث ٧٣٨) وقد صححه الألباني. وبالنظر في الأحاديث السابقة يتضح بجلاء أن المنفعة الدينية خير للإنسان من المنفعة الدنيوية.

## و- قدر المنفعة

كلما زاد قدر المنفعة زاد أجر بذلها عند الله عز وجل، وقدر المنفعة أمر نسبي بحسب سعة الإنسان المنفق. قال الله تعالى: "لِيُنْفِقْ ذُو سَعَةٍ مِّن سَعَتِهِ وَمَن قَدَرَ عَلَيْهِ رِزْقُهُ فَلْيُنْفِقْ مِمَّا آتَاهُ اللَّهُ لَا يُكَلِّفُ اللَّهُ نَفْسًا إِلَّا مَا آتَاهَا سَيَجْعَلُ اللَّهُ بَعْدَ عُسْرٍ يُسْرًا" (الطلاق: ٧).

وبين النبي ﷺ أن قدر المنفعة الذي يؤجر عليه المسلم يختلف باختلاف درجة غنى الإنسان. قال النبي ﷺ: "سبق درهم مائة ألف درهم، قالوا: وكيف؟ قال: كان لرجل درهماً تصدق بأحدهما، وانطلق رجل إلى عرض ماله فأخذ منه مائة ألف درهم فتصدق بها" (سنن النسائي، كتاب الزكاة، رقم الحديث: ٢٤٨٠).

ويقول "السندي" في شرحه للحديث: "وظاهر الأحاديث أن الأجر على قدر حال المعطي لا على قدر المال المعطي، فصاحب الدرهمين حيث أعطى نصف ماله في حال لا يعطى فيها إلا الأقوياء يكون أجره على قدر همته، بخلاف الغني فإنه ما أعطى نصف ماله، ولا في حال لا يعطى فيها عادة".

ويظهر من الأحاديث النبوية أن الأجر والثواب يتعلق بقدر ما ينفقه الإنسان، فحال الذي يُنفق درهماً أو درهمين من ماله ليس كحال من ينفق مائة درهم إذا كان مستطيعاً. وقد جاء عثمان بن عفان رضي الله عنه إلى النبي ﷺ بألف دينار حين جهز جيش العسرة فنثرها في حجره، فأخذ النبي ﷺ يقلبها في حجره ويقول: "ما ضر عثمان ما عمل بعد اليوم مرتين". (سنن الترمذي، كتاب المناقب، رقم الحديث ٣٦٣٤) وحسنه الألباني.

وبهذا يتجلى أن الشرع يعتبر قدر المنفعة أو النفقة التي يبذلها الإنسان، بمعنى أنه كلما زاد قدر المنفعة زاد الأجر والثواب في حق الإنسان الواحد، مع الأخذ في الاعتبار الفروق الفردية بين الناس فيما يملكون من مال وبهذا الاعتبار "سبق درهم مائة ألف درهم" كما ظهر آنفاً.

## رابعاً: نتائج الدراسة الميدانية

إجابة التساؤل الثالث ونصه: ما مدى تمثيل طلبة الجامعة الإسلامية بغزة لمفهوم نفع الآخرين؟

وللإجابة على هذا التساؤل قام الباحثان باحتساب المتوسطات الحسابية لنتائج أفراد العينة والوزن النسبي لأبعاد النفع وللمجموع الكلي، والجدول التالي يظهر ذلك.

جدول (٢): المتوسطات الحسابية والانحرافات المعيارية والوزن النسبي لمقياس النفع وأبعاده.

الأبعاد	عدد الفقرات	مجموع الدرجات	المتوسط	الانحراف المعياري	الوزن النسبي
النفع (فكر)	٩	٢٧	٢٣.٣٦٣	٣.٥٥٩	٨٦%
النفع (انفعال)	١٠	٣٠	٢٨.٦١٠	٦.٣٣٤	٩٥%
النفع (سلوك)	١٩	٥٧	٤٦.٩٦٧	٧.٣٩٩	٨٢%
النفع الكلي	٣٨	١١٤	١٠١.٣٤٠	١٢.٥٦١	٨٨.٨%

ويرى الباحثان أن مستوى النفع يعد مرتفعاً جداً لدى طلبة الجامعة، وقد يعزى ذلك لعدة أسباب قد يصعب الفصل بينها كمؤثرات تدفع الطالب الفلسطيني الجامعي بهتم بنفع الآخرين ويسعى لفائدتهم ومنها اتسام طلبة الجامعة الإسلامية بالتدين وتأثرهم بالمساقات الإسلامية وما تحث عليه من مكارم الأخلاق كمتطلبات جامعية أساسية يدرسها جميع طلبة الجامعة على اختلاف تخصصاتهم مع حفظهم لعدة أجزاء من القرآن الكريم خلال دراستهم، بالإضافة إلى الانتقائية غير المقصودة في الانتساب للجامعة الإسلامية بعد إتمام المرحلة الثانوية، إذ أن المتدينين من الأسر والطلبة يميلون للالتحاق بالجامعة الإسلامية مع علمهم المسبق بأن الطالب سيدرس مساقات إسلامية ليست بالقليلة كمتطلبات جامعة.

كما قد يعزى ارتفاع مستوى النفع لدى طلبة الجامعة إلى طبيعة المجتمع الفلسطيني الغزي، حيث لا زالت علاقات وتفاعلات الأفراد فيه أقرب ما تكون إلى المجتمعات الريفية، والذي تكون فيه العلاقات وجهاً لوجه لا كما في المجتمعات الصناعية الحديثة والمدن الكبرى، فالأسرة الفلسطينية تولي اهتماماً كبيراً بسمعتها وما يقوله عنها الآخرون فتحرص على إيصال الرسالة لأطفالها منذ الصغر، فينشأ لدى الجميع تقريباً ما يشابه الضمير الجمعي الذي يجعل الأفراد حريصين على تكريس مفاهيم النخوة والمساعدة وإغاثة المستغيث، وربما برز ذلك خلال الاعتداءات الصهيونية المتكررة على غزة، والتي كان خلالها يظهر بوضوح نجدة الناس للمصابين والمتضررين مع ما في ذلك من خطر، وصل في حالات كثيرة إلى التضحية بالنفس، إضافة إلى تكاتف الأفراد والأسر خلال فترة حصار غزة والذي عانى أهلها خلاله من نقص جميع مستلزمات الحياة.

ويرى الباحثان في اختلاف الوزن النسبي للأبعاد أمراً يبدو معقولاً ويتمشى مع الواقع، فالبعد السلوكي كان أقلها وزناً، فالإنسان قد يفكر ويرغب في فعل أشياء طيبة ولكن الظروف الموضوعية قد تحول دون تنفيذها، كافتقاره إلى بعض الإمكانيات التي تعينه على نفع الآخرين، أو قد يتقاعس أحياناً عن التنفيذ.

وقد لوحظ ارتفاع الوزن النسبي للبعد الانفعالي، ويعكس ذلك شدة تعاطف الطلبة الجامعيين مع الناس والفرد المحتاج إلى مساعدة، بالإضافة إلى ما يشير إليه ذلك من اعتداد الطالب الجامعي بنفسه وإحساسه بمكانته في المجتمع الذي ينتظر منه الكثير، والمجتمع

الفلسطيني عموماً يولي التعليم أهمية عظيمة ويقدر الشباب الجامعي تقديراً كبيراً، مما يعزز ثقة الطلبة الجامعيين بأنفسهم وإحساسهم بأهمية دورهم في المجتمع.

### مناقشة الفروض

مناقشة الفرض الأول: ونصه: لا توجد فروق دالة إحصائية عند  $(\alpha \leq 0.05)$  في مستوى نفع الآخرين تُعزى إلى متغير الجنس.

ولقياس الفروق بين متوسطات درجات الطلاب والطالبات تم استخدام اختبار (ت) والجدول التالي يظهر النتائج.

جدول (٣): نتائج اختبار (ت) لقياس الفروق بين الجنسين في مستوى النفع.

البيان	النوع	العدد	المتوسط الحسابي	الانحراف المعياري	قيمة "ت"	مستوى الدلالة
النفع	الطلاب	١١٣	١٠٣.٦١	٩.٩٧	٢.٧١١	دالة إحصائية عند مستوى (٠.٠٥)
	الطالبات	١٩٦	٩٩.٩٤	١٣.٧٠		

وأظهرت نتائج اختبار (ت) وجود فروق إحصائية دالة في مستوى النفع، مما يسقط الفرض الصفري، وينجح الفرض البديل حيث كانت الفروق لصالح الطلاب الذكور، أي أنهم أكثر اهتماماً وممارسة لما ينفع الآخرين من الطالبات، وقد يرجع ذلك إلى إعطاء المجتمع الفلسطيني مساحة أكبر للطلاب الذكور للتفاعل الاجتماعي وحرية الحركة خارج البيت والجامعة، مما قد يتيح لهم فرصة أكبر لممارسة سلوك نفع الآخرين، ولا يستبعد الباحثان دور الفروق في التدين في زيادة مستوى النفع، ولكن الإقرار بذلك يحتاج إلى أبحاث أخرى.

### مناقشة الفرض الثاني

والذي توقع عدم وجود فروق بين الطلبة تعزى لاختلاف المستوى الدراسي للطلاب. ولإظهار ذلك استخدم الباحثان اختبار (ف) لقياس الفروق بينهم ودالاتها الإحصائية والجدول التالي يظهر نتائج تطبيق الاختبار.

**جدول (٤):** مصدر التباين ومجموع المربعات ودرجات الحرية ومتوسط المربعات وقيمة "ف" ومستوى الدلالة تبعاً لمتغير المستوى الدراسي.

البيان	مصدر التباين	مجموع المربعات	درجات الحرية	متوسط المربعات	قيمة "ف"	مستوى دلالتها
المستوى الدراسي	بين المجموعات	٤٨٤.٧٥٣	٣	١٦١.٥٨٤	١.٠٢٤	غير دالة عند ٠.٠٥
	داخل المجموعات	٤٨٤٣٣.١١٩	٣٠٧	١٥٧.٧٦٣		
	المجموع	٤٨٩١٧.٨٧١	٣١٠			

ولم يظهر اختبار (ف) أية فروق دالة إحصائية في مستوى النفع لدى أفراد العينة يعزى لاختلاف المستوى الدراسي، أي أن الطلبة في المستويات المختلفة متقاربون في أفكارهم وانفعالاتهم وسلوكياتهم المتمسمة بنفع الآخرين، وقد يفسر ذلك بتأثيرات الأوضاع العامة في المجتمع الفلسطيني التي توجد سلوكاً جمعياً واتجاهات مشتركة وانفعالات موحدة لاسيما في ظل وضوح القضية والعدو المشترك، مما يورث فئة الشباب إقبلاً على مساعدة الناس والوقوف إلى جانبهم في وجه الاجتياحات المتكررة والاعتداءات والقتل من قبل الاحتلال اليهودي.

### مناقشة الفرض الثالث

ونصه: لا توجد فروق دالة إحصائية عند  $(\alpha \leq 0.05)$  في مستوى نفع الآخرين تُعزى إلى متغير التخصص (شرعي، إنساني، تطبيقي).

**جدول (٥):** مصدر التباين ومجموع المربعات ودرجات الحرية ومتوسط المربعات وقيمة "ف" ومستوى الدلالة تبعاً لمتغير نوع الكلية (ن = ٣١١).

المتغير	مصدر التباين	مجموع المربعات	درجات الحرية	متوسط المربعات	قيمة "ف"	مستوى دلالتها
نوع الكلية	بين المجموعات	٢١٦١.١٠٩	٢	١٠٨٠.٥٥٤	١٧.١٩٥	٠.٠١
	داخل المجموعات	٤٦٢٥٤.٠٥٥	٣٠٨	١٥٠.١٧٦		
	المجموع	٤٨٤١٥.١٦٤	٣١٠			

**جدول (٦):** نتائج اختبار (بونفيروني) للتعرف إلى اتجاه الفروق ودلالاتها في النفع تبعاً لمتغير نوع الكلية.

الجامعة	تطبيقية م = ٣٥.٣٦٧	إنسانية م = ٣٤.٧٩٥	شرعية م = ٣٣.٨٤٥
الكليات التطبيقية	-	-	-
الكليات الإنسانية	٤.٩٧٥٧ (*)	-	-
الكليات الشرعية	٦.٨١٥٣ (*)	١.٨٣٩٧	-

أظهرت النتائج سقوط الفرض الصفري ونجاح الفرض البديل إذ إن الفروق كانت دالة في متوسطات درجات النفع لدى الطلبة باختلاف كلياتهم، وأشارت النتائج إلى وجود فروق إحصائية دالة في مستوى النفع بين طلبة الكليات الشرعية والكليات التطبيقية لصالح الأولى، وبين طلبة الكليات الإنسانية والتطبيقية لصالح طلبة الكليات الإنسانية، في حين لم توجد فروق دالة بين الكليات الشرعية والإنسانية، مع العلم أن متوسطات طلبة الكليات الشرعية كان الأعلى، ويرى الباحثان أن ارتفاع مستوى النفع لدى طلبة الكليات الشرعية والإنسانية قد يعود إلى أثر المساقات الإسلامية والإنسانية التي يدرسونها أكثر من أقرانهم في الكليات العلمية، علاوة على انشغال طلبة الكليات العلمية بالدراسة والمعامل بشكل أكبر، مما لا يمنحهم الفرص للتفاعل الاجتماعي ومشاركة الآخرين مثل أقرانهم في الكليات الشرعية والأدبية، ويلاحظ عموماً أن طلبة الكليات العلمية أكثر محدودية في التعامل حتى مع مدرسيهم، ومشاركتهم في أنشطة الجامعة اللامنهجية.

#### توصيات ومقترحات الدراسة

- العودة إلى المصادر الإسلامية لتأصيل المفاهيم النفسية والتربوية السائدة، وهذا يجمع بين الأصالة والمعاصرة.
- الانطلاق بهذه المفاهيم لإجراء دراسات ميدانية، تبين مدى تمثلها في الواقع.
- تطبيق مقياس النفع الذي قام الباحثان بتطويره على شرائح وعينات مختلفة في مؤسسات اجتماعية أخرى.
- وتقتصر الدراسة إجراء البحوث التالية:
- مفهوم النفع بين الرؤية الإسلامية والفكر الغربي (دراسة مقارنة)
- إجراء دراسات مماثلة متعلقة بمفاهيم أخرى مثل: الاستقامة، الإيثار، الانفتاح الفكري، الإيثار، الحلم والأناة، مع تطوير مقاييس خاصة بها.
- توجيه المؤسسات التربوية إلى تبني برامج إرشادية تدريبية لغرس مفهوم النفع لدى الأطفال.

#### قائمة المصادر

\* القرآن الكريم

- الأصفهاني، الحسين بن محمد. (١٤١٨ هـ - ١٩٩٧ م). معجم مفردات ألفاظ القرآن. تحقيق: إبراهيم شمس الدين، دار الكتب العلمية، بيروت.

- الألباني، محمد بن ناصر الدين. صحيح الترغيب والترهيب. د.ت. مكتبة المعارف، الرياض.
- الألباني، محمد بن ناصر الدين. صحيح وضعيف الجامع الصغير وزيادته. المكتب الإسلامي، عمان.
- البخاري، محمد بن إسماعيل. (١٤٠٩هـ-١٩٨٩م). الأدب المفرد. تحقيق: محمد فؤاد عبد الباقي، دار البشائر الإسلامية، بيروت..
- البخاري، محمد بن إسماعيل. (١٤٠٧هـ-١٩٨٧م). صحيح البخاري. ط٣. تحقيق: مصطفى ديب البغا، دار ابن كثير، بيروت.
- البغوي، أبو محمد الحسن. (١٤١٧هـ-١٩٩٧م). معالم التنزيل. ط ٤. تحقيق: عثمان ضميرية، وسليمان الحرش، دار طيبة.
- الترمذي، محمد بن عيسى. الجامع الصحيح سنن الترمذي. تحقيق: أحمد شاکر وآخرين، دار إحياء التراث العربي، بيروت.
- خطاطبة، عدنان مصطفى. (١٤٢٨هـ - ٢٠٠٧م). "المنفعة المترتبة على السلوك الإنساني في السنة النبوية"، مؤتمر السنة النبوية في الدراسات المعاصرة، كلية الشريعة، جامعة اليرموك، الأردن.
- أبو داوود، سليمان بن الأشعث. سنن أبي داوود. د.ت. بيروت.
- الرازي، محمد بن عمر. (١٤٢١هـ - ٢٠٠٠م). مفاتيح الغيب. دار الكتب العلمية، بيروت.
- السعدي، عبد الرحمن بن ناصر. (١٤٢٠هـ-٢٠٠٠م). تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان. تحقيق: عبد الرحمن اللويحق، مؤسسة الرسالة.
- الشوكاني، محمد بن علي. (١٩٩٨م). فتح القدير الجامع بين فني الرواية والدراية من علم التفسير. دار الكتب العلمية، بيروت.
- الطبري، محمد بن جرير. (١٤٢٠هـ - ٢٠٠٠م). جامع البيان في تأويل القرآن. تحقيق: أحمد شاکر. مؤسسة الرسالة.
- ابن عاشور، محمد الطاهر. (١٩٩٧م). التحرير والتنوير. دار سحنون، تونس.
- العثيمين، محمد بن صالح. (١٤٢٣هـ-٢٠٠٢م). شرح رياض الصالحين. تحقيق: محمود بن الجميل وخالد بن محمد بن عثمان، مكتبة الصفا، القاهرة.
- العسقلاني، أحمد بن علي بن حجر. فتح الباري شرح صحيح البخاري. دار المعرفة، بيروت.



- القرطبي، محمد بن أحمد. (١٤٢٣هـ - ٢٠٠٣م). الجامع لأحكام القرآن. تحقيق: هشام سمير البخاري. دار عالم الكتب، الرياض.
- ابن كثير، أبو الفداء إسماعيل. (١٤٢٠هـ - ١٩٩٩م). تفسير القرآن العظيم. ط٢. تحقيق: سامي سلامة. دار طيبة.
- ابن ماجة، محمد بن يزيد. سنن ابن ماجة. د. ت. تحقيق: محمد فؤاد عبد الباقي. دار الفكر، بيروت.
- مسلم، أبو الحسين مسلم بن الحجاج. (١٩٩٢م). صحيح مسلم. دار إحياء التراث العربي، بيروت.
- المناوي، زين الدين عبد الرؤوف. (١٤٠٨هـ - ١٩٨٨م). التيسير بشرح الجامع الصغير. ط٣. مكتبة الإمام الشافعي، الرياض، تحقيق: محمد محيي الدين عبد الحميد، دار الفكر.
- ابن منظور، محمد بن مكرم. لسان العرب. دار صادر، بيروت.
- النسائي، أحمد بن شعيب. (١٤٠٦هـ - ١٩٨٦م). المجتبى من السنن. تحقيق: عبد الفتاح أبو غدة. مكتب المطبوعات الإسلامية، حلب.
- النسفي، عبد الله بن أحمد. (٢٠٠٥م). تفسير النسفي. تحقيق: مروان محمد الشعار، دار النفائس، بيروت.
- النووي، أبو زكريا يحيى بن شرف. المنهاج شرح صحيح مسلم بن الحجاج. دار إحياء التراث العربي، بيروت.